رواية
ما خفي كان أعظم
آلاء حسين الجمل

تمهيد

كانت أخر مكالمة أسمع فيها ضحكتها رغم إنها الأولي من شهور فاتت بدون ابتسامة صادقة خالية من الحزن، قبل ما أقفل معاها الخط قالتلي بارتياح كنت سعيد بيه:

-عارف يا جمال أنا مش مصدقة بجد أني خلصت منه ومن الممات اللي كان معيشه ليا والاسم أني عايشه، كانت علاقتي بيه شبه اللعنة، كأني بحبي ليه قطمت التفاحة المسمومة اللي بتحتم عليا أعيش في هلاك..حقيقي مش متخيلة أني قدرت اسيبه وأمشي وأخيراً بقيت حره..

ابتسمت رغم زعلى منها، أنا عارف انها غصب عنها..الحب مش بالتخطيط، ومدرك إنها لو كانت تعرف إن اللي هتزرع براءتها معاه في نفس أصيص الحياة العاطفية، هيكون السبب في أنه يحول كل الحلو اللي فيها لأرض بور عمرها ما كانت هتسلمله قلبها بس صاحبتي غبية...لا هي مش غبية علشان هي مش بتحب الكلمة دي..هي ساذجة، لا برضه مش ساذجة..هي نقية وسهل تأمن وترتاح لأي حد يظهرلها الود..

بس أنا مازلت زعلان منها علي الألم النفسي اللي عاشته طول المدة دي، زعلان عليها وعلي تحملها لحاجات هي ماتستاهلهاش، أنا وملك أصحاب من تانية جامعة، عدي 3 سنين علي صداقتنا، من أصدق وأحلي سنين عمري اللي مكتفي بيهم عن صداقة أي حد تاني، ملك شخصية جميلة، نشيطة ومحبوبة وحبوبة...سهل تخطف القلوب برقتها وضحكتها ولون عينيها الرمادية اللي بتتغير مع كل لون حجاب بتلبسه ويضاف ليهم سحر خاص...

ملك فاجأتني في يوم بانفصالها عن حب وعلاقة عاطفية دامت لسنه كاملة أنا معرفتش عنها غير بعد الإنفصال!

كان جوايا ليها عتاب طويل، ومش هنكر جوايا حاجة كبيرة أتكسرت بسبب فعلتها دي، كان جوايا سؤال بيتردد طول المكالمة اللي صارحتني فيها وهي بتبكي بحرقة "ليه يا ملك ده أنتي كل حكاياتك وأسرارك عندي؟ ليه دا أنا مصاحب دبدوبك اللي مافيش في الدنيا حد عارف عنه حاجة غيري؟"

لكن بالفعل ماقدرتش وقتها أبدي أي رد فعل غير احتواءها كالعادة وسماعها للنهاية، كان غضب الدنيا كلها متملكني وأنا بسمع، مش لعدم مصارحتها ليا من البداية بل عشان مش قادر أتحمل أسمع كلمة زيادة عن الحقير ده وعن أزاي كان بيتحكم فيها، وأزاي بيئذيها بطريقته وخناقه المتكرر ونرجسيته اللي مالهاش أخر، ملك ماتستحقش غير شخص يعاملها بهدوء وحنية، شخص يقدرها ويشاركها طموحها ويشجعها...لكن ده كان بيهينها ويطفيها...سألتها بغضب:

-وأنتي ليه سمحتيله يعمل فيكي كده؟ ليه ما امشتيش مع اول اهانة وأول تعب؟

انهالت دموعها بشكل هستيري وأنا سامع نهتها العالية وسط كلامها وهي بتجاوبني بكلام مش مترتب، كلام خارج من نبرة مستخبي وراها كتير مش قادر يطلع:

-كان مؤذي..كان زعله بيتعبني، حاولت كتير أسيبه، حاولت أمشي لكنه كان بيعرف يجبرني أفضل وأنا مش عارفة أقاوم مشاعري ولا حتي اسيب لعقلي التصرف....أنا كنت محتجالك أوي يا جمال، بس ماكنتش بعرف الجألك علشان لو كنت لجأتلك وكان عرف كان هيئذيني..

أنا فاكر يومها ماقدرتش اتحمل اني اسمع باقي الحكاية، ولا قدرت اكون سامعها بالشكل ده وماتصرفش، حاولت بكل جهدي معاها في اليوم ده علشان أهديها وبالفعل هديت، عدي اسبوع كل ليلة بنقضيها بشكل مختلف أحاول أخرجها من الحالة اللي هي فيها خاصة إن المهدئات مش جايبة نتيجة معاها، لحد المكالمة دي..المكالمة اللي أخيراً سمعتها فيها بتضحك وتتكلم بارتياح بعد ما نهت علاقتها باللي اسمه ريان ده، كنت سعيد بيها وقررت اسامحها علي اللي حصل هي خلاص اتعلمت درس قاسي وأنا عارف إنها قوية ومهما تقع بتقوم...بس ماكنتش عارف إن الوقعة اللي بجد لسه معادها هيبدأ، وإن الضحكة البريئة اللي سمعتها الصبح دي هتتحول لسراب بعد ساعات..

1

بعد ما قفلت المكالمة معاها اعتدلت علي السرير وقعدت سندت ضهري علي حاجز السرير الخشبي، بصيت في الساعة كانت 10 الصبح، كالعادة بتصحيني قبل صلاة الجمعة بمدة طويلة علشان الحق أجهز وأقرأ سورة الكهف، لكن النهارده كانت صاحية بدري اكتر بسبب مشوارها المفاجيء لواحدة من زميلتنا من ايام الجامعة، الحقيقة مافهمتش منها الموضوع بالتحديد كان إيه؟ لكن كل اللي فاهمه أنهم هيتقابلوا علشان تديها حاجة مهمة...

افتكرت أني رجعت متأخر بليل وماكلمتش إكرام قبل ما أنام وأكيد هتكون نايمة زعلانة، بس الحقيقة أني فعلاً زعلان منها جداً ولازم أحاسبها، اتصلت وزي كل مرة ردت بسرعة بحكم نومها الخفيف

-صباح الخير يا حبيبتي.

صوتها الناعس اللي بيستجمع غضبه المخزن من بليل:

- صباح خير! أه صباح خير فعلاً، شكلك رايق وأنا عايزة أنام..

زفرت بخنقة وأنا مش عارف اروق بالها ولا ازعقلها، بس مش بقدر أزعلها وخصوصاً إني مصحيها من النوم فمش منطقي، غمضت عنيا وقلتلها بهدوء:

-إكرام أنا مخنوق الفترة دي ومضغوط، فبالله عليكي مش أنتي والأيام عليا، ممكن؟

سمعت تنهيدتها اللي في الأغلب كانت لمحاولة كبت الكلام اللي كان محتاج يندفع منها ليا وأنا رجعته يتراكم جواها تاني زي ما بقالي فترة بعمل، أنا مش عارف بعمل ليه معاها كده حقيقي بس أنا مش عندي طاقة لجدال علي شيء بسيط تافه، حسيت بحركة جاية من التليفون من عندها فهمت أنها اعتدلت وفاقت، وصوتها اللي وضح أكتر أكدلي توقعي، سألت:

-نعم يا جمال، عايز أيه؟

--وحشتيني..

وصلني عدم ردها بجفاء بتقابلني بيه بقالها فترة بيئذيني لكني مش عارف أنهيه أزاي، قلتلها:

-طيب حتي ردي عليا، داحنا ماتكلمناش من أمبارح، ماوحشتكيش؟

ما قدرتش تتحمل كتمانها أكتر غالباً واندفعت فيا بحدة:

-وهو أنا اللي ماكلمتكش؟ ما أنا مستنياك تكلمني زي ماقلتلي وكل اللي عليك أنك مخليني منتظرة لوش الفجر، مافيش حتي مكالمة

تطمن عليا بيها ولا تقولي هتأخر نامي أنتي! كل كام يوم علي الحال ده ومابقتش فاهمة في أيه؟

ماقدرتش أتمالك نفسي أنا كمان ولقيتني بندفع فيها من غير حسابات ولا ترتيب:

-أه أنا اللي ماكلمتكيش وماكنتش عايز أكلمك..ولولا ملك اللي اتحايلت عليا مازعلش منك وأنها هي السبب ماكنتش جيت ولا كلمتك بالهدوء ده...

--ليه أنا عملت أيه؟

-يعني مش عارفة عملتي أيه؟ يعني تبقي ملك في مشكلة كل المدة دي وبتعاني وانتي عارفة وبتسمعي وماتحكيليش؟ كل المدة دي شايفاها بتعاني وماتجيش تقوليلي عشان اساعدها! مبسوطة انتي من اللي هي فيه ده؟

حسيت بصدمتها من كلامي ووصلتني من صوتها وهي بتقولي:

-نعم!؟ وهو أنت عايزني أحكيلك سر هي امنتني عليه؟ ما أنا كنت بحاول الاقيلها حل هو أنا كنت ساكتة؟ وبعدين تساعدها اللي هو هتعمل أيه يعني هتروح تضربه؟

صرخت:

-أه اضربه، واهينه زي ما اهانها الحيوان لو لزم الأمر...كان لازم تقوليلي، كان لازم أعرف أنا كنت هتصرف وأقنعها تسيبه.

ضحكتها الساخرة زادت غضبي، لكن اللي حرق دمي جملتها:

-وأنت ماسألتش نفسك صاحبتك اللي عارف كل تفاصيلها ماحكتلكش ليه ولجأتلي بدالك؟ ماقالتلكش أنه كان بيكهربها نفسياً لو كلمتك ولا حتي قربت من المكان اللي هي فيه صدفة؟

ولا تكون ما قالتلكش هي كانت في السنه دي بتنعزل كتير عنك ليه!

كلامها ضايقني وحسيت بغضب شديد من ملك، أنا ملك تتهرب مني علشان ريان! طيب هو ومن ايام الجامعة وهو بيكرهني وده أنا عارفه..لكن ملك تديله الفرصة دي؟ صالحت إكرام لأني مش متحمل ضغط أكتر ولأني محتاج أتفرغ لأذي جديد من قصة ملك وريان، افتكرت محاولاته لجذب انتباهها في الجامعة ولامبالاتها ليه ونظراته لينا واحنا بنعمل اي شيء مع بعض...كنت بكرهها لأني كنت بحس بحجم الحقد اللي خارج من نظرته لكن ماكنتش بهتم...لكن دلوقتي بقيت مهتم..مهتم أن ملك سمحت لنظراته تنتصر علي صداقتنا وتعمل مسافة فيها..

قررت مش هكلم ملك وحتي لو هي اللي كلمتني مش هرد عليها، ده مش قرار...ده عقاب، بس ماكنتش اعرف انه هيكون عقاب ليا أنا مش ليها ....

عدي اليوم في ملل، كنت متعود يوم الجمعة بعد صلاة المغرب بيكون ميعاد كورس الجرافيك الأونلاين اللي بنحضره أنا وملك علي زوم مع تيم صغير وبروفيسور أمريكي..لكن ملك اتغيبت عن

الكورس بدون سابق إنذار، في البداية أتضايقت من استهتارها المعتاد الفترة الأخيرة لكن لما الكورس أنتهي بدونها والساعة عدت 1 وملك ما اتصلتش قلقت، فكرت ممكن إكرام تكون بلغتها باللي حصل بيني وبينها وهي زعلت مني علشان زعلت إكرام رغم إني وعدتها إن ده مش هيحصل، حسمت الأمر وأتصلت بإكرام أسألها

-مساء الخير يا حبيبي

--مساء الخير ياكيمي، بتعملي أيه كده ومانمتيش!

سمعت خروشة ورق وحسيتها اتحركت من مكانها قبل ماتقول:

-كنت بحضر جدول الحصص بتاع بكره، هو أنا مدرسة Math أي كلام ولا ايه، مش لازم أروح محضرة جدولي!

قلت بعدم اهتمام حقيقي، كنت متوتر وحاسس أني محتاج اطمن الأول

-طبعا يا حببتي ربنا معاكي..كنت بس عايز اسألك سؤال يا كيمي

هديت حركتها وانتبهتلي:

-خير يا حبيبي؟

--هو أنتي قلتي لملك أي حاجة عن مكالمتنا امبارح؟

زفرت:

-لا يا جمال ما كلمتهاش، كانت قيلالي هتيجي من مشوارها مع إنچي وهتحكيلي التفاصيل بس ماتصلتش لحد الأن.

قفلت معاها المكالمة بعد ما حولت مجري الحديث لشيء تاني، مش عايز اسمع استفسارات أنا اللي عايز اسأل، ملك فين؟

قررت هكلمها لكن غضبي اتملكني ولقتني بمتنع عن ده وبقفل تليفوني وبنام، صحيت من نومي بعد ساعات في هدوء، ميعاد الشغل هيفوت لو مالبستش وجريت في ربع ساعة بس، فتحت التليفون وروحت أخد شاور وبعد ما خلصت رجعت لأوضتي لقيت تليفوني بيرن فكنت متأكد أنهم بيستعجلوني في الشغل لكن المفجأة كانت شيء تاني...

-صباح الخير ياحببتي صاحية بدري اوي عن معادك ليه..إكرام انتي بتعيطي؟ في إيه!

--افتح نت بسرعة..

الوقت ماكنش مستحمل أني استفسر كتير مع حالتها والقبضة اللي عصرت قلبي مجرد ما كلمتني وطلبت الطلب ده، كنت ماسك التلفون وأنا قلبي بيرتعش وحاسس أن في شيء مش سهل مستنيني، اول ما النت لقط في التليفون وصلتني مسدچ من إكرام،

فتحتها عشان رجلي ماتشلنيش واقعد مكاني علي الأرض وأفرك شعري الاسود بقوة بصدمة

كانت اسكرين شوت متاخدة لبوست كتباه أخت ملك ومشاركاه علي صفحة ملك بصورتها وكاتبة إن ملك مفقودة وتليفونها مقفول من إمبارح العصر واللي يوصلها يتواصل مع الأرقام اللي في البوست..

أنا كنت حاسس أني دايخ، ملك..هي دي ملك صح؟ اللي هي صاحبتي وبنتي دي؟

مش مصدق اللي شايفه وماكنتش مستوعب لقيتني بخرج من الشات وبرن علي ملك لكنها مش بترد، أنا كنت عايزها ترد وتقولي أنها بخير وانهم كدابين..

تلفوني فضل يرن وأنا مكاني مش بتحرك ومش مستوعب حاجة، مادرتش بنفسي غير وأنا بتصل بأخو ملك الكبير وأسأله عنها...أكدلي إن المعلومة صح وسألني هل أنا أعرف زميلتها اللي راحت تقابلها دي ولا لا! أنا عارفها جداً، بس أنا مش في وعيي، مش حاسس غير بحاجة واحدة وهي أني أنام تاني عشان أصحي الاقيها أكيد ده كابوس علشان أنا زعلان منها ولازم أصحي منه..

كان يوم تقيل ومتعب نفسياً أكتر من جسدياً، لف في الشوارع بالعربيات، تحقيقات في القسم وتليفونات نسأل كل اللي يعرفوها يمكن نلاقيها هنا ولا هناك لكن مافيش أي فايدة...

دخلت البيت وأنا بجر خيبة أملي ورايا، عاجز وقلتلها مليون مرة أكتر إحساس بكرهه هو العجز..ليه مصرة تحطني فيه؟

رديت علي مكالمة إكرام ال500 تقريباً بعد ما فردت ضهري علي السرير وأنا لسه بهدومي وجزمتي:

-أيه يا إكرام؟

إكرام بضيق وقلق:

-كل ده برن عليك ومش بترد يا جمال؟

--غصب عني يا إكرام ما أنتي عارفة أنا في أيه من الصبح

تنهدت وسالت:

-مافيش جديد؟

بعجزي الكامل نطقت:

-لا..

طيب مش إنچي قالت في التحقيق إنها سابتها وركبت أوبر من ميدان التحرير؟ ماجابوش الكابتن سألوه ليه يمكن هو اللي خطفها!

قلت بنفاذ صبر:

-إكرام مش طالبة ذكاء والنبي، وهما هيعرفوا الكابتن منين واللي طلبت الأوبر كانت ملك وتليفونها مفقود معاها؟

--اه اه صح..معلش طيب براحة، انا بحاول أفكر معاكم.

-إكرام معلش أنا تعبان ومحتاج أنام، تصبحي علي خير..

كان ليل قاسي مازارش عنيا النوم، ولا عقلي خد هدنة ولو دقيقة من التفكير، 3فناجين قهوة ومش قادرين يهدوني، ماتعودتش منها الكدب، ليه كدبت عليا وقالتلي إن وقت الغضب والتفكير الزايد القهوة بتهدي!

سهرت علي واتساب طول الليل براقب جروب الدفعة اللي لسه مستمر لحد الأن، وطبعاً الحدث الدارج فيه دلوقتي (إختفاء ملك سند)..كانت اشاعتهم بتزيدني خنقة، شوية مقتنعين إنها انتحرت...وشوية شايفين إنها هربت مع حبيبها المجهول، وشوية شايفين إن تجار الأعضاء لقوها غنيمة كويسة....كلام لازع مش قادر ابتلعه، فاندفعت فيهم بكل عزمي وكتبتلهم مسدج مليانة غضب، ماكنتش أعرف إن الحقير ريان في الجروب إلا لما رد علي المسدج بتاعتي باستخفاف ودارت بينا خناقة أتطرد فيا أكتر من شخص وكان هيكون من ضمنهم أنا لكني قبل ما حد يتجرأ عليا حذفت نفسي قبل ما أعرف من صديق ليا إن ادمن الجروب قفل المسدجات وخلاها للمسؤلين فقط وبلغ إن لو في جديد يخص ملك هو هينزله علي الجروب.

كنت مستحقره، كنت مش طايقه...ده اللي هي حبته؟ اللي مش هامه هي عايشة ولا ميتة؟ اللي كلام الناس عنها ماهزش شعرة منه؟ حمدت ربنا إن ملك مش شايفة اللي حصل ده، أعتقد إنها لو كانت شافت كانت ماتت بحسرتها...

بس ياترا يا ملك أنتي لسه عايشة؟

2

لبست هدومي بإرهاق، كنت زي الآلة بتحرك تلقائياً وعقلي مش مركز في حاجة وسارح، فجأة وأنا بربط رباط الكوتش جت فكرة أعاقت حركتي خلتني اسيب كل حاجة وافرد ضهري وابرق بغضب، جريت علي القسم بدون مقدمات قبل الشغل وقدمت بلاغ

-أنا متأكد إن ريان ليه علاقة باختفائها يا فندم، الشخص ده كان علي علاقة بيها وأذاها جداً ولما كانت بتحاول تنفصل عنه كان بيهددها وهي حالياً انفصلت عنه رسمي...

كان كلامي يكاد يكون في محله بس للأسف مش معايا دليل واحد، بس من واجب القانون انه يحقق في الأمر، مشيت من القسم وأنا مستحلفله إن لو هو السبب فعلاً وملك جرا ليها حاجة بسببه أنا مش هسيبه للقانون...أنا هعرفه أزاي عزرائيل طريقه سهل لو وقع تحت أيدي...

ماكنتش عارف اركز في الشغل، وشغل التصميم والجرافيك بيكون محتاج تركيز ودقة، اعتذرت وأخدت أذن أني أمشي بحجة أني مريض...ماكنتش عارف وجهتي لفين، بس فكرت أعمل زي ملك واسيب رجلي اللي توجهني...لقيتني فجأة بركب مترو من المعادي للتحرير...نزلت وقفت عند الميدان تحت الشمس، بحاول اتخيل

الموقف..ببص يمين وشمال، مش عارف بدور عليها ولا بحاول الاقي خيط يوصلني ليها! فكرت في فكرة عبيطة وعارف أنها مستحيل تنفع وهي أني أوري صورتها لكل الناس في الميدان واسألهم إن كانوا شافوها....

بس سمعت ضحكتها وردها في عقلي كأنها لو موجودة كانت هترد بكده

"يا عبيط يعني هما كل الناس دي بتعدي من هنا كل يوم علشان يلاقوني؟"

الحرارة اشتدت فوقي وأنا بكره الشمس، روحت لأقرب كشك أجيب منه مایاه ومناديل، عرقان ومتضايق...الولد اللي في الكشك سألني..هو اللي في شعر حضرتك بيلمع ده أيه؟

ابتسمت بحزن وحنين وأنا برد عليه:

-شعري في الحر بيلمع كده..

افتكرت لما كنت بتضايق من منظر شعري وهو بيلمع من عرق الحر، وملك كانت تبتسم بطفولة وتقولي

" بس شعرك بيكون شكله جميل كده، بيكون زي الزرع اللي مندي..وده احلي وقت تستمتع وأنت بتتفرج علي الزرع فيه"

كانت بتعرف تمتص غضبي من أي حاجة علشان كده كنت برتاح في النقاش معاها في أي مشكلة عن إكرام...إكرام بتحاول تسمعني ولما بتعجز عن إنها تهديني بتزعل من عصبيتي وبنتخانق بدل ما أهدي وأفوق من مشكلتي ...

إكرام..صح لازم أقابلها النهارده علشان معاد مقابلتنا وماينفعش أتأخر وبكده هتبقي خناقة جديدة مش وقتها نهائي...

ركبت تاكسي ووصلت للمدرسة اللي هي شغالة فيها ولقيتها لسه قدامها وقت، افتكرت أني خارج من الشغل بدري ولسه باقي علي ميعادها ساعتين فقررت أروح أرتاح شوية فيهم...

من التعب نمت غصب عني وماحستش بالتليفون اللي مابطلش رن، وطبعاً ما حستش بالوقت وهو بيعدي علي انتظار إكرام ليا في الشارع...صحيت علي أذان العشاء مخضوض، لقيتني لسه بهدومي، ماكنتش فاهم أنا فين؟ إحنا أمتي؟

ملك رجعت ولا لسه؟

مسكت التليفون ورنيت عليها برضه لسه مغلق...

زفرت بعصبية، أنا قلبي مرعوب، ملك رقيقة مش حمل بهدلة، أفكار سوداوية بتتردد في دماغي وأنا تحت مياه الدش البارد، هي ممكن ملك تكون انتحرت بجد بسبب ريان؟ بس هي قالتلي أنها كويسه وبطلت مهدئات وارتاحت...

طيب هو فعلاً اللي ورا إختفاءها؟ ولو هو هيكون عمل فيها إيه؟ كل أفكار الشر بتجاوبني نيابة عنه...

إنچي..كانت بتقابل إنچي تديها إيه؟ وليه ماقالتش؟...أكيد إنچي دي ساعدت ريان في إنهم يئذوها..

ضربت الحيط بقبضتي بغضب أيدي اتجرحت وحسيت بألم، غمضت عيني بسببه وفتحتها علشان افتكر حاجة مهمة جداً...إكرام!

جريت بعد ما خلصت الشاور بسرعة ومسكت تليفوني رنيت عليها لقيتها قافلة تليفونها، رميت التليفون علي السرير بعصبية وقعدت علي طرف السرير وأنا شعري لسه مبلول، رجعته لورا بصوابعي وأنا بحاول افكر أراضيها ازاي...بصوت مسموع خرجت مني كلمة "اتخنقت"...

روحت المسجد صليت العشاء ولحقتهم في اخر ركعتين، بعد الصلاة قابلني سيف صديق الكفاح الدراسي واللي كافئني القدر أنه يفضل معايا لحد الجامعة، خرجنا من المسجد سوا وقرر يجي يقعد معايا في البيت بحكم أني عايش لوحدي فمسموحله يدخل البيت في أي وقت...دخلنا المطبخ نعمل شاي سكر زيادة لأستاذ حسين فهمي...لا ده مش هزار هو شبه حسين فهمي بجد بس أقرع وبنظارة نظر وكرش صغير...

خد خيارة من التلاجة وأنا بقلب السكر في الشاي وسأل:

-بس أنت بجد أزاي تفكر أن ريان هو سبب اختفاء ملك مش للدرجة دي يا أخي!؟

استغربت وبصتله وأنا بديله صينية الشاي وبسأله:

- وأنت عرفت منين أني شكيت فيه؟

--اتصل بيا ومتضايق منك وفضل يزعق وبلغني إن الحكومة حققت معاه وفتشت بيتهم يدوروا علي ملك...وهو متأكد أنك ورا البلاغ ده..

ضحكت بسخرية:

-يعني لو هي عنده هيخبيها في بيته!

.أنا متأكد إن ريان ليه يد..يا هو يا إنچي والحوار مش هيخرج برا الأتنين دول.

سأل بتلقائية استفذتني وعصبتني عليه:

-طيب ما يمكن تكون انتحرت؟ مش هي كانت نفسيتها وحشه بسبب موضوعها معاه؟

--ملك ما انتحرتش وعمرها ماتعمل كده...واوعي تقول كده تاني، ملك كويسه، وعايشه انا متأكد..

حاول يهديني ونظرات الشك خارجة من عينيه بتحاوطني، ماكنتش فاهم نظراته عايزة تقول أيه، بس كل اللي فاهمه اني عايز أكون لوحدي..مش عايز أسمع افكار الناس، ملك أنقي من أفكارهم..

بعد إلحاح منه اتفقنا إننا هنتقابل في قهوة كنا بنقعد فيها زمان أيام الكلية كلنا، ايام ما كنا شلة صحاب..كان بيجي اللي اسمه ريان ده وقتها يقعد معانا بحكم أنها في منطقة شقته اللي هيتجوز فيها وأنه كان بيجي يطمن علي شقته من وقت للتاني..وأوقات كنا بنقعد في شقته دي...فكنت رافض مش حابب استرجع الذكريات دي، لكن اصراره خضع ليه نفاذ صبري...

بعد ما مشي جاتلي مسدج بإن تليفون إكرام اتفتح فاتصلت بيها، ردت رغم أني كنت منتظر عدم ردها...كان صوتها مخنوق بالبكا لكنه بيقاوم علشان ماتبنش قدامي ضعيفة...

أول جملة قلتها:

-حقك عليا يا إكرام اليوم كان صعب عليا ومطبق فروحت نمت غصب عني.

سمعت بكاءها فبدأت أختنق أكتر وحسيت بالندم أني اتصلت...بس أنا مش بتحمل أشوفها بتبكي...

-ممكن تهدي طيب علشان خاطري؟

--عارف فضلت مستنياك للساعة كام في الشارع؟

سكت ومش عارف أرد...هي مابتقصرش في تقديرها ليا أنا عارف..ومتأكد أن الوقت طال بيها وانتظرت كتير بس ماعنديش رد علي ده حقيقي غير آسف...

-آسف يا إكرام بجد...

--أنا اللي أسفة يا جمال مش هقدر أكمل معاك..

قتلتني جملتها..مش متخيل إنها قالت كده بجد

-إكرام لا ماتقوليش كده، أنا بحبك والله واللي حصل غصب عني، أنتي عارفة ان ملك مختفية و..

-ملك مهمة، ملك بتسمع وتتسمع، ملك مريحة، ملك محفوظة بأدق تفاصيلها، ملك بنصالحها ونساعدها تفوق من غيبوبتها...ملك بنتصل نطمن عليها ونراعي ظروفها...ملك بنخاف عليها...ملك كلك ملك...كل حاجة لملك، ياريتني يا اخي كنت أنا اللي صديقتك مش هي علي الأقل كنت هبقي محظوظة..

كلماتها صادمة، مؤذية، مش مفهوم مغزاها عندي..هي بتغير من ملك! ما هي عارفة بوجود ملك من قبل ما تحبني وفاهمة علاقتي بيها جداً وعمرها ما غارت منها!...ولا أيه اتغير؟

هل أنا قصرت لدرجة إن ده اللي يخرج من جواها عن ملك وهي مش معروف هي فين حتي؟

-ماتقوليش كده يا حببتي وأهدي، أنتي حببتي وكل حاجة عندي، وأنتي شايفة الظروف عندها عاملة ازاي وأنتي عارفة أني بعزها زي اختي بالظبط فأكيد لازم اكون معاها في محنتها..

قاطعتني وزادت نهنهتا:

-وأنا؟ مين هيكون معايا في محنتي؟ أنا طول الوقت بحاول أوضحلك أني فيا حاجة مش كويسة وأنت في كل مرة بتثبتني بكلمتين علشان اسكت، لحد ما قلبي مابقاش فيه مكان لحاجة يشيلها وبدأ يشيل من مخزون احساسه بيك عشان يخزن مكانه تعب نفسي وزعل منك..

--بس أنا مضغوط وأنتي مش مقدرة ده يا إكرام

صاحت فيا:

-قدرت كتيير، حاولت معاك كتير لكنك مش بترضي تخرجلي اللي جواك وبتكتفي بالصمت والهروب مني..

تعبت من اتهامها وغضبي انتصر عليا وصرحت عن اللي جوايا:

-علشان مش بتعرفي..مش بتقدري تساعديني اكون كويس، مش بتعرفي تسمعيني حتي، كل حاجة بتقلبيها خناق وكل مرة حاولت الجألك فيها رجعت من عندك مضغوط زيادة...

--أنا مش هكمل في علاقة أنا مش قادرة أقدم فيها ولا أخد يا جمال...ماتشغلش بالك بيا واهتم أنت باللي يخصك واللي قادر تحس بيه فعلاً...

قفلت في وشي السكة من غير ماتديني فرصة أتناقش معاها اكتر...او علي الأقل أفهم معني جملتها الاخيرة...

"ماتشغلش بالك بيا واهتم أنت باللي يخصك واللي قادر تحس بيه فعلاً..."

حاولت أتصل بيها لكن مابتردش، قررت اسيبها تهدي ونتكلم لما كل واحد فينا يعيد حساباته، فضلت صاحي لليوم التاني بعيد قراءة شاتي أنا وملك وأنا بحاول أوصل لأي ثغرة توصلني ليها لكن كل حاجة طبيعية لحد الجنون...

الشغل في اليوم ده كان كتير وكان لازم انهي الإعلان اللي شغال عليه لأن معاد تسليمه في نفس اليوم، انهمكت في الشغل لوقت متأخر عن معاد خروجي منه، بعد ما خلصت لقيت تليفوني بيرن برقم سيف، افتكرت اتفاقنا فضربت جبيني بكفي بضيق

-ايه يا صاحبي أنت فين؟

--لسه خارج من الشغل حالاً..أنت وصلت؟

-أه مستنيك أهو..أنجز بقي.

قفلت معاه وركبت وروحتله، من اول ما وصلت وانا مش مرتاح للمكان، عايز أمشي بس جوايا حاجة بتجبرني أقعد غير سيف..مش عارف أيه هي بس أنا حاسس بشيء غريب جاي...

أول ما صرحت بإحساسي لسيف ابتسم ابتسامة خبيثة وقالي:

-يمكن علشان كلمت ريان قلتله يجي وماقلتش لحد فيكم أني هجمعكم علشان أصالحكم مثلاً؟

وقفت بحركة مفاجئة مني وأنا باصصله بغضب، اخدت تليفوني وقلتله بعتاب:

-ده شغل غدر ما كنتش أتوقع انه يجي منك يا سيف عموما شكرا علي الدعوة اللي مش مقبولة

مسكني من معصمي بيمنعني امشي:

-استني بس يا جمال في أيه يا اخي ماتبقاش كده، الراجل ماعملكش حاجة لكل ده

--معملش؟ كل اللي عمله في ملك ده وتقولي ما..

قاطعني وصول رسالة علي واتساب فجأة فافتكرت اني مابعتش الشغل للمدير الساعة5 زي ما طلب ففلت أيدي من سيف وبصيت في شاشة التليفون بعد ما بصيت لسيف بتوعد، ملامحي استبدلت لاستغراب وأنا شايف شات ريان قدامي وباعتلي ريكورد وتحته مسدج بيقولي اسمع ضروري واوعي ترد..

استغربت وأنا قرفان منه ومش فاهم حاجة، لاحظ سيف ملامحي فسألني وقلتله، قالي أفتح وشوف ايه في الريكورد، بس انا كنت خايف وأنا مش عارف السبب..

بس عرفته أول ماحطيت السماعة في التليفون وسمعت صوتها وهو بيعيط وخايف وبتستنجد بيا

فقدت توازوني وحاول سيف يسندني وهو مش فاهم...

ولأول مرة غضبي يتحول لدموع، من يوم ما مشيت كنت متماسك زي ما علمتني لكن خوفي عليها واستنجادها وتأكدي لشكوكي بأنه السبب ورا اختفاءها وروني أني إنسان ضعيف ومحتاج اطمنها دلوقتي علشان اطمن..

خطف مني السماعة وانا مسلوب الارادة وكل أعصابي مرتخية من الصدمة وبدا يسمع

" جمال، ارجوك انقذني منه..هو مش عارف اني ببعتلك أوعي ترد علي المسدج لأني همسحها بعد ما أبعتلك..خاطفني في شقة فاضية متمحرة بس، هي في دور عالي بس مش عارفة الكام..هاتلي هدوم..واخد هدومي علشان ما امشيش تعالي بسرعة وبلغ البوليس معاه مطواه و..."

خلص الريكورد وخلصت معاه كل معالم الحياة في ملامحنا...

3

أنا ما كنتش عارف أفوق من الصدمة وكل الأفكار السوداوية اللي كانت بتطارد عقلي اليومين اللي فاتوا بتمر قدام عينيا اللي دموعها سايله وباصه للفراغ...حسيت بسيف وهو بيقعد علي الكرسي اللي جنبي بتهالك...بصتله بدموعي ونظرتي بتعاتبه بتأكيد وكأنها بتقوله "هو ده اللي كنت عايزني اتصالح معاه وبتقولي ماعملش حاجة...هو الشيطان اللي قادر يئذي بدم بارد شخص حبه بصدق"

دموعي اتجمدت في عينيا واول ما الجملة اترددت جوايا وفوقتني " هاتلي هدوم..واخد هدومي علشان ما امشيش تعالي بسرعة"..

قمت وقفت وأنا بركان الغضب ثار جوا قلبي وعقلي، بقيت رايح يمين وشمال في نفس القطعة اللي واقف فيها من الأرض، وماسك دماغي بأيدي الأتنين بحاول أفكر أعمل أيه؟ عايز حل يخليه مايئذيهاش لما يعرف اننا كشفناه..ياترا كشفها وعرف انها راسلتني من تليفونه؟

سيف أخيراً نطق:

-هنعمل ايه يا جمال؟ لازم نتصرف بسرعة..

--مش عارف مش عاارف..أبلغ البوليس ولا اروح أموته بنفسي!
بس خايف أي خطوة ناخدها ماتكونش محسوبة وهو يئذيها أكتر...أنا لازم أبلغ وهروح برضه...تعالي معايا..

مسك ايدي يوقفني:

-هنروح فين استني بس يا جمال.

--مافيش وقت يا سيف لازم أتصرف..

ماكنتش عارف فعلاً أنا أيه اول خطوة هاخدها بس لقتني بسرعة بمسك تليفوني وبكلم تلاتة من أصحاب المنطقة عندهم چيم وبيلعبوا كمال أجسام...أنا عارف انه قدامهم مش هيعرف يتحرك لأنه ضعيف..بالفعل اتفقت معاهم نتقابل قريب من العمارة اللي فيها شقته، في الوقت اللي كان سيف بيبلغ فيه باللي تم واللي هنعمله...

كنت بدعي من جوايا ما يكونش أذاها أذي يهينها لمدي الحياة...كنت محموم بمشاعر مختلفة بتحرقني حرارتها جوايا..

خوف، وهم وغضب ومسيطر عليا روح الانتقام..

سألت سيف:

-أنت قايله يجي القهوة علي الساعة كام؟

--علي معادنا عادي بس هو بلغني انه هيتأخر ساعة..

بصيت في الساعة لقيت الوقت تخطي تأخير الساعة، تخيلاتي بدأت تموتني بفكرة ان كل المدة دي بيعمل فيها أيه فوق؟

لمحته فجأة وهو بينزل من العمارة ويشمر أكمامه، كنت هجري عليه تلقائياً أضربه، لكن سيف لحقني علي اخر لحظة:

-بالله عليك اهدي واستني ماتبوظش اللي بنعمله واتصل بالشباب بلغهم انه نزل

كنا متفقين معاهم أنه لما يوصل يمسكوه ويضربوه ويسلموه في القسم وأحنا في الوقت ده نوصل لملك ننقذها، كلمتهم وأول ما غاب عن عنينا جرينا علي بواب العمارة وقلناله وأخدناه معانا يفتحلنا الشقة بالمفتاح اللي معاه، في الاول كان مفكرنا حرامية لحد ما سمعناه الريكورد وأتأكد إن الصورة اللي في الشات صورة ريان فعلاً...

طلعنا وأنا كل خطوة بطلعها لفوق بسرعة قلبي بيتقل ونفسي بيقل وبحس روحي بتروح وخايف من اللي هقابله فوق...خايف ماتكونش دي الشقة اللي ملك فيها أصلاً..

فتحلنا الباب ودخلنا ندور في الغرف..الشقة ضلمة بشكل مريب، أنا كراجل خفت..لو ملك هنا..بتعيش أيه؟؟

-ملك!!

بصوت ضعيف مش قادر أطلعه بناديلها ومش سامع اي صوت، نادينا بصوت واحد أحنا التلاته علشان نسكت بعدها ونسمع حركة في غرفة من الغرف...علي ضوء كشافات تليفوناتنا فتحنا الباب..هما أول ما وقعت عينيهم عليها خرجوا لكني اتسمرت مكاني ومعرفتش اسكت دموعي، كنت بعيط كأني عيل صغير بصوت وأنا بروح عليها وهي متكومة في الأرض بهدوم تكاد تكون تستر القليل منها..جسمها كله كدمات وجروح وشعرها اللي كانت صورها وهي صغيرة بتحكي عن طوله بقي مشوه ومتقصقص بعشوائية..

فكيت الحبل المربوط بيه أيديها وأنا ببكي ومش قادر ابص في عينيها، كنت بفك رجليها وهي بتتحرك بعنف عشان تحرر صوتها من اللاصق اللي مانعها تتكلم وتصرخ بيه..

اول مافكته اترمت في حضني خلتني اتجمدت مكاني، مشهد عمري ما هنساه ولا أنسي إحساسه. كنت إنسان من عالم وجيت عالم تاني من بعد المشهد ده..بقلب مختلف وتفكير تاني..وحياة مش اللي كنت عايشها..

كانت بترتجف بقوة ارتجفت معاها كل حواسي، ضمتها ليا بهدوء ودموعي اتجمدت وأنا سامع صوت صريخها الهستيري، قافشة في هدومي كأنها خايفة اني امشي او ماكنش حقيقة، ندهني سيف ولقيته بيرميلي جلباب البواب اللي كان لابسه، فهمت مقصده،

مديت أيدي علشان القطه من علي الأرض، مسكت فيا أكتر...سمعت دوشة برا، وفهمت ان السكان اجتمعوا من صوت صريخها، واحد من السكان لما عرف عرض علينا يرورح بينا المستشفى بعربيته، حاول يستعجلني سيف لكني لأول مرة عاجز بجد...عاجز أخليكي تهدي يا ملك..عاجز أن يكون عندي رغبة في أني ما أخلكيش تنهاري...المرة دي بس اللي كنت مصر اسيبك تنهاري وأنهار معاكي وأسيب حياتي السابقة في اللحظة دي بكل مافيها من تفاصيل تنهار..وانسي في حضنك أنا مين وأنتي مين!!

-ملك..ملك فوقي!! ملك!!

جسمها ارتخي فجأة وكل حاجة فيا ارتعبت، اتنين ستات من العمارة دخلوا وأخدوها مني، لبسوها جلباب البواب بسرعة وشلناها أنا وسيف نزلناها لعرلبية أستاذ منتصر بسرعة، كانت بين دراعاتي في الكنبة اللي ورا وسيف بيبادلني النظارات من المراية الأمامية، جسمها بينتفض بين أيديا..مش عارف ده خوف ولا ألم ولا برد...ولا كلهم!

كان جسمها بارد رغم كم العرق اللي علي جبينها، شفايفها الوارمة بترتجف..سامع منها صوت كأنه صويت ضعيف مكتوم..

أقسي لحظات عشتها وأنا مستني كلام الدكتور...مش عارف محتاج أعرف أيه أكتر من اللي أنا شايفه...بس...بس أنا مش عايزها تعيش تعيسة طول عمرها بذنب مش ذنبها...

حسيت روحي انسحبت مني لثواني لمجرد أن الدكتور ندهلي:

-استاذ جمال..أستاذ سيف..ماتقلقوش، كل شيء بخير، الكدمات دي أثر تعذيب واضح ومش باستخدام الأيد فقط، كان في أدوات تقيلة مستخدمة للضرب لأن في شرخ في مشط القدم
اليسري..فهنجبسهالها والكدمات دي هتتعالج بالمراهم..

كنت مع كل كلمة من الدكتور مش عارف ازعل ولا افرح أن الأمور واصلة للحد ده، ولكن كان جوايا سؤال محتاج أطمن وخايف..بس مش عارف اسأل ازاي!

بصيت للدكتور بصمت وأنا في حيرة، سكتنا كلنا وهو أضاف:

- اتعرضت للتعذيب بس الحمد لله مافيش أكتر من كده، هي أنسة مش كده؟

جاوبته بسرعة:

-أه..أنسه صح أنسه!

اماء الدكتور بحركة تأكيد وقال:

-طيب احنا هنسيب الانسة ترتاح لحين وصول أهلها والمباحث، استأذنكم أنا..ربنا يفك كربكم بإذن الله.

بصيت عليها من بعيد وهي في نوم واخدها لعالم مش بتاعنا...دققت في تفاصيلها المتشوهة بحزن وابتسمت بتناقض..فبرغم كل شيء ملك رجعتلي ومماتتش..

4

" إكرام"

علاقتي بجمال بقت مرهقة في الفترة الأخيرة وده كان واضح لينا إحنا الاتنين بس بنكابر..ولا بنصلح ولا حتي بنمشي، واقفين في مرحلة مش عارفين ليها بداية من نهاية...يمكن عقلنا أدرك أننا مش متفقين بشكل كبير، لكن قلبنا رافض يقبل ده وبيعاند علشان يدافع عن مشاعره..

بس أنا تعبت، أنا وجمال مرتبطين من سنتين، شوفت فيهم أجمل وأحن قلب وأكتر شخص متفهم مابيحبش الخلافات، ولا بيحب استمرار أي مشكلة أكثر من 4 دقايق...مش بيهون عليه زعلي في أغلب الأوقات، وبيعرف يسمعني ويعرف يطبطب علي قلبي بحنيته...ضحكت من قلبي معاه أكتر ما ضحكت طول حياتي قبله...بس في حاجة اختلفت مع أخر سنه...

من بعد ما اتبدل حال ملك بدأت الاحظ تغيره، الأول كنت بتجاهل الأمر وأقول وهم، لكن مع اختفاء ملك كل فترة وانقطاع أخبارها كان جمال بيتحول، عمري ما واجهته بده لأني كنت بلاحظ بصدق انه بالفعل مش فاهم ماله...بس مع رجوع ملك ومعاتبته ليها علي انعزالها اللي ماكنش بيكون عارف سببه غيري..كان حاله بيتبدل ويرجع لحيويته تاني..

أنا يمكن ماكنتش بغير من ملك لأني عارفة أنها بتحب ريان، وكنت بشوف حب جمال ليا فعلاً، لكن حاجة جوايا لامسه حاجة غامضة جوا جمال تجاه ملك، كنت بحاول اخليه يكتشفها باختبارات كتير لكن كل مرة كنا بنتخانق وما بقدرش اوضحله إن ملك واخدة من حياته ركن اساسي أنا مش واخداه..

بعيد عن ملك قعدت مع نفسي وقلت فكري يا إكرام، أيه الحاجة اللي عاملة مسافة بينكم؟

أيه مسبب مشكلة بتتضاخم ببطء في الخفي بينكم؟

لقيت معظم مشاكلنا عن عدم اهتمامه في اوقات كتير، او تفضيله للكلام عن مشكلة عنده مع ملك عني...كنت بعرف بالصدفة انه كان مضغوط بسبب مشكلة كبيرة، واعرف أن ملك كانت عارفة وأنا كان بيناقشني في شغلي أنا بليل وبيضحكني ويضحك ولا كأن جواه غضب محتاج يطلع!

"اتخنقت"...كانت الكلمة اللي خرجت مني بعصبية أول ما قفلت معاه واتخانقت معاه وطلبت الانفصال...أنا فعلاً مش هقدر أكمل في علاقة ناقصة، أنا أه بشوف كل الخير من جمال لكن الراحة ناقصة، في حاجات كتير محتاجاها منه اللي اسمها صاحبته بتاخدها عني! زي أني أكون الحضن اللي يرتمي فيه لما يحتاج احتواء...وأني الاقيه جنبي في كل أوقاتي مش شرط الكبيرة بس، أوقات بتكون الامور الصغيرة أهميتها أعظم بكتير من الكبيرة..

تعبت من تراكم العتاب والزعل جوايا والحقيقة ماتبقاش ليا طاقة حتي أخرجهم، فنبعد أحسن بالباقي جوانا من حلو...بس أنا طول

الليل كنت مستنية منه يتصرف ويحاول يكلمني، مع إن أنا اللي قافلة تليفوني بس برضه مستنية لما أفتح الاقي محاولاته..مش عايزة أحس أني فعلاً ماليش أهمية كبيرة عنده..فتحت الفيس أقلب فيه بعد ما عملت التليفون وضع طيران..

أفتكرت يوم معرفتي بأختفاء ملك لما برضه اتخانقنا وصالحني بكلمتين ماراضونيش وفتحت تليفوني وحطيته علي وضع الطيران علشان يفضل مقفول لكن فتحت الواي فاي أقلب علي الفيس عشان اتلهي عن شعوري السيء اللي مابيسكتش...كنت طول الليل في خنقة، الساعات بتعدي ببطء والتايم لاين اللي عليه هو هو مافيش جديد، كل شوية بعمل ريفرش للفيس علي امل إن يجيلي أخبار جديدة، وفي مرة من المرات وصلتني الصدمة بأن صورة ملك تظهر علي الفيس، بس ملك مش بتحط صورها!!

مش عارفة ليه قلبي اتقبض لما شوفت الصورة، فقررت اقرأ الكلام المكتوب واتفاجئت إن أخت ملك اللي منزلة الصورة بتعلن اختفاءها، الحقيقة رغم غضبي منها ومن تطفل وجودها علي حياتي مع جمال إلا إنها تظل صاحبتي اللي عمرها ما أذتني عن قصد فبكيت...بكيت صدمة وخوف عليها، وخوف من الفكرة اللي جت في بالي...مسكت تليفوني وكلمت ريان بعد مارنيت كتير علي جمال ولقيت تليفونه مقفول..

جالي صوته الغليظ النايم:

-ده معاد حد يتصل بحد فيه يا مدام جمال! ولا جمال مش فاضي يصحالك دلوقتي فجاية تقرفيني أنا؟

كنت بحاول اهدي وكلامه عصبني:

-ده علي اساس اني دايماً بتصل بيك يعني! مش انت اللي جبت رقمي وكلمتني أمبارح عشان عايز تصالح ملك؟

--أيوا أنتي عايزاني اروح اصالحها 7 الصبح يعني ولا ايه مش فاهم؟

نبرة صوتي اهتزت وأنا بسأله بعنف:

-ماتستهبلش يا ريان، ملك فين؟ أنت اللي ورا إختفاءها صح؟

صرخ فيا فجأة فزعني جسمي انتفض ورمشت بقوة وشهقت من الخضة

-انتي عبيطة يا بت انتي وجاية تطلعي جنانك عليا!! وأاختفاء أيه ده اللي بتتكلمي عنه؟ لو انتي وصاحبتك عاملين تمثيلية فابعدوا عن دماغي علشان مش نقصاكم وأعملوها في حتة تانية..

دموعي نزلت وأنا بجاوبه:

-بس أنت أمبارح لما قلتلي انك عايز تقابلها من غير ماهي تعرف انك جاي واظبطلك الموضوع ده أنا قلتلك أنها مش بتخرج غير نادر وإنها خرجت اليوم ده بالعافية ولما سألت عن مكانها قلتلك علي أساس هتتصرف وتحاول تفاجئها وتروحلها...

ارتبك ونبرة صوته اتراجعت شوية:

-قولت هحاول لكن ماروحتش كان عندي شغل...هي ملك مختفية؟

وقتها تليفون جمال اتفتح وجاتلي مسدج بده، فقفلت المكالمة مع ريان وأنا حاسه بالذنب ومش مرتاحة لكلامه، ولو جمال عرف أني أصلاً رديت علي ريان وكمان تواصلت معاه بخصوص ملك هيعمل خلاف كبير ومش بعيد يخسرني فيها...وعلي الأخص إن ملك مختفية من الوقت ده..بس أكيد لأ مش للدرجة دي هيئذيها يعني!

اتصلت بجمال وأنا كل الافكار دي في دماغي وخايفة من الموضوع كله وخايفة علي ملك فبكيت مرة تانية أول ما وصلني صوته وماقدرتش اتكلم بأكتر من أني أطلب منه أنه يفتح النت..

كنت مفكرة أن موضوع إختفاء ملك هيكون مصدر حزن لجمال، لكن ما توقعتش أنه يقلبله حياته، وينساني أنا شخصياً..يعني أيه عزيزة عنده، أنا ليه مش أعز منها؟ ليه أفضل مستنياه في الشارع كل الوقت ده ومايجيش!..عشت لحظات خوف وضيق من تحرش الناس لفظي ونظري في الشارع طول ما انا واقفة مستنياه قدام المدرسة...ليه مش خايف عليا زيها!؟

مشيت يومها دموعي بحميها عن عيون الناس بالنظارة الشمس اللي فات معاد أني البسها..وقررت أني مش هستني تاني..مش هستني منه شيء، ولا حتي هو شخصياً..

لما عرفت اللي حصل لملك، وعرفت إن فعلاً ريان هو السبب، قلبي كأنه هرب مني وراح مكان ضلمة مخيف، مش قادرة اتنفس والأرض مش مستحملاني، كل حاجة دارت حواليا لمدة دقيقة وأنا بسمع من أخت ملك التفاصيل، كنت بموت من الرعب، خوفي من أن يتعرف إن أنا اللي بلغت ريان بمكانها كان أكبر من خوفي عليها..ماكنش جحود مني قد ما كنت عارفة مصيري أيه وقتها...والمصير هنا مش معناها طريق حلو.

أتصلت بجمال لكنه مش بيرد، أفكار كتير بتهاجمني، عن أنه بيبكي عليها دلوقتي، أو ماسك أيديها يهديها وهي بتبكي! خايف عليها وقلبه بينبض ليه بمشاعر..حتي لو كانت خوف.

وأفكار بتكهربني عن أن جمال لو عرف ممكن يعمل معايا أيه! طيب هو عمل أيه في ريان؟ ....طيب وريان فين؟

رجعت من شرودي عن أسيا أخت ملك وسألتها:

-وعملوا أيه في ريان؟

****

"سيف"

لو كل أخطائي اللي عملتها في عمري كله حسيت فيهم بنسبة ندم، فأنا ثقتي في ريان خلتني أندم بحجم أخطاء عمري كلها وندمها..

يوم ماعشتش زيه تقريباً، كنت حاسس بأني بتحرك في مشاهد فلم والمخرج بيحركني بريموت كنترول..

حياة بنت كانت معرضة للهلاك لمجرد انها حبت بصدق، لكن حظها وقع في شخص سادي مريض بالغضب، ومعمي بالكبر..

فاكر أخر جملة قالهالي:

-أنا مابحبش حاجة بتاعتي تبقي بعيد عني ولو اتلوثت بأيد حد غيري..

--بتقطعهاله؟

-لا بكسرها قدامه وأنا سعيد...

ماكنتش فاهم مقصد الكلام وإن الحاجة اللي كان يقصدها دي ملك، عمر ماصورلي خيالي إن اللي بنشوفه في المسلسلات الأجنبي ممكن اعيش زيه علي ارض الواقع وأكون شاهد علي قضية عنف زي دي لاشخاص قريبين مني...

منظر ملك وهي بترتجف بين دراعات جمال في العربية مش رايح من بالي، كل ما اتخيل اختي او خطيبتي مكانها أبقي عايز أروح أقتله...

ماكنتش مستغرب خوف جمال عليها لكن مستغرب المبالغة، مستغرب دموعه، مستغرب انكساره، كأن ملامحه عجزت وعنيه بتستنجد...شايف في نظرته وحركته توهان، هو مش في عالمنا، هو موجود معانا بس مش عايش..

وقوفه قدام غرفتها بدون ما يتحرك لحد ما أهلها يوصلوا كان شكله مثير للاهتمام بالنسبالي..ماكنش وقت السؤال ده يجي في بالي بس في النهاية سألته لنفسي "هي ممكن يكون جمال بيحس مشاعر لملك؟"

ضابط المباحث أخدنا مكتبه في المستشفي، هي غرفة مش كبيرة لكنها مرتبة وهادية، فيها مكتب خشبي وعلم مصر ملفت كبير متعلق بعرض الحائط بيتوسطه صورة للرئيس...قعدنا معاه وحكينا التفاصيل زي ما طلب..ولما سألنا عن المجرم اللي مسكناه كنت هنطق وأبلغ إننا بعتناه مع تلاته أصحابنا القسم لكن جمال لحقني بإجابته المختصرة الحادة اللي أدهشتني وارعبتني...

-هرب من اصحابنا اللي كانوا مودينه القسم ومش لاقينه..

الصمت لازمني من بعد جملته وهو اللي كمل نقاش مع الضابط بهدوء تام ماشوفتهوش علي ملامحه من الصبح غير من أخر

مكالمة تمت بينه وبين سيد اللي مسؤول عن إنهم يوصلوا ريان القسم، شكي مش في محله أكيد صح؟

سألته بكده لما خرجنا من الغرفة، مابصليش ولا رد، وقفته عن المشي بأني وقفت قدامه وبصيت في عينيه وسألته بحدة:

-جمال أنت أتفقت معاهم علي حاجة تانية غير أنهم يودوه القسم؟

بعد عني وكمل طريقه بسكوت وأنا ماشي وراه وقلبي مش مطمن، مالحقتش أصر عليه يفهمني أيه بيحصل لأن أول ما قربنا من غرفة ملك شوفنا أهلها هناك، وصلنا صوت بكاء والدتها وأحنا قدام باب الغرفة، وبكاء أختها وكلامها ليها:

-حقك عليا يا قلبي، حقك عليا يا أختي، ياريتني كنت جيت معاكي زي ما طلبتي وماسبتكيش لواحدك.

رد الأب بصوت مهزوم:

-ماتقوليش ياريتني يا أسيا، ده قدر ومكتوب إنها تشوفه..ادعيلها.

دخلنا وسلمنا عليهم، الحزن كان عنوان مقابلتنا التانية معاهم، بعد ما كانت اول مقابلة بينا من اسعد لحظاتنا يوم حفلة تخرجنا..

كانت أسيا بحجابها البسيط وعينيها الزرق وطولها اللي شبه طول مامتها مش كبير، واقفة ومحاوطة كفوف ملك النايمة بفعل المهديء وبتبكي، والام قاعدة علي طرف السرير جنب راس مللك وبتغلغل صوابعها بين خصلاتها المتدمرة وبتبكي بحرقة، والأبن الكبير واقف في ضهر والده اللي قاعد علي الكرسي البلاستيك اللي في الركن التاني من الغرفة وعلي ملامحهم علامات إنكسار ماخليش منها اليوم في ملامح جمال..

جمال ماقدرش يقف دقيقة كمان في الغرفة وخرج برا يمسح وشه بكفوفه بيأس وعينيه بتلمع فيها دموع...دي مش مشاعر صداقة يا جمال!!

خرجت وراه ووقفنا شوية برا وسيبناهم مع الدكتور اللي دخل يكلمهم عن حالتها وإن صعب أنها تصحي تشوفهم متجمعين حواليها كده، طلبت اختها تفضل معاها وبالفعل سمحوا لأختها بس تفضل والباقيين يجوا في الزيارة، أنا كنت تعبت من اليوم والواقفة وعايز أمشي لكن جمال رافض يمشي الا اما اليوم ينتهي..

عدي الوقت وخرجت بيه من المستشفي بالعافية بعد ما اقنعته نيجي في معاد الزيارة بدري، أهلها عرضوا علينا يوصلونا ورفضنا بشدة ودي كانت رغبة جمال اللي مافهمتش سببها...أخدت بالي إن جمال وقف مع والدة ملك قبل ما تركب عربية أبنها وقالها حاجة وسابها ومشي...

وأحنا ماشين سألته:

-كنت بتقول لمامتها ايه؟

ظهر علي شفايفه شبه ابتسامة خفيفة غريبة عن أحداث اليوم، وبعد ثواني من السكوت جاوبني بهدوء وإجهاد:

-طلبت منها تجيب لملك حاجة من أوضتها بكره وهي جاية..هي أكيد هتطمن بيها ولو شوية..

استغربت فسألت كنوع من أنواع فضولي المتكرر:

-حاجة ايه دي؟

ابتسم أكتر وكمل مشي بسكوت، ماكررتش سؤالي وحسيت اني مزعج لكني اتفاجئت لإجابته المتاخرة علي سؤال فات من ساعات ما لهوش علاقة بحديثنا دلوقتي:

-هنوديه القسم زي ما وعدت...بس هنرجعه ناقص زي ما رجع ملك من غير طفولتها وسعادتها.

5

"جمال"

بابا الله يرحمه زمان قال لماما لما كانت بتزعقلي علشان ببكي لما ضربتني "سيبيه يعيط..هو من حقه يعبر عن حزنه"

زعقت وقالت وهي غضبانة مني" مافيش راجل بيعيط"

وقتها والدي حضني ومسح دموعي وقالها

" بس أنا عيطت لما تعبتي وماكنتش عارف اساعدك، وعيطت يوم ما ابويا مات وأنتي بتقولي أني الراجل بتاعك وضهرك وسندك...وعلشان كده لازم تفهمي وتفهميه إن الراجل عمره ما هيكون راجل بجد وعنده قلب إلا لما يعبر عن حزنه ويخرج كل الطاقة السلبية اللي جواه...لأنه لو ماعملش كده هينمو وهو هش من جوا وهيصطنع طول الوقت القوة ولكنه هيفضل طول الوقت جبان"

بعدها بصلي وقالي

" عيط يا جمال وقت ما الألم يشتد بيك، ماتتكسفش من دموعك واحترم مشاعرك ووقت ما تحتاج تهدي هتلاقيني بحضنك وماما بتحضنك حتي لو قسيت عليك هي علشان تعلمك هي بتحبك...بس خد بالك مع مين تعيط وأمتي تعمل ده..يعني ماينفعش حد يشوفك

وقت ضعفك غيرك وغير الناس اللي بتحس أنهم مصدر الأمان ليك بس"

والدتي وقتها حسيت إنها أدركت من كلام والدي الخطأ اللي عملته بضربي الشديد وأخدتني في حضنها وعرفتني غلطي وحضنتني وأنا ببكي لحد ما نمت...

بس أنا دلوقتي مش لاقي حضنهم اللي يخليني أهدي وأطمن وأنام...متكوم في سريري ببكي وماحدش فيهم عايش يحضني تاني ويقولي إن حقي أبكي زي زمان...أنا مذعور، جفوني كل ما بيتقفلوا بشوف ملامح الهلع والعجز اللي كانوا مرسومين بدقة علي وشها المليان كدمات...مش قادر ما أفتكرش لحظة تعلقها برقابتي أول ما فكيت عنها قيودها، بين كل ساعة والتانية لحظة جسمي بينتفض فيها من أثر مرور ذكري تعلقها فيا من الخوف ورجفتها الشديدة وبرودة جسمها..

بكيت لوقت طويل وذكريات اليوم بتمر جوا عقلي وقدام عيني، بعد ما سمعت كلام والدي وفرغت شحنة السلبية اللي جوايا جه الوقت اللي ابقي فيه راجل حقيقي...

اتصلت بسيد اللي رد في المكالمة التانية:

-أيه يا ريس أنت جاي أمتي؟ الواد ده قرفنا معاه ومش عايزين نلمسه الا أما أنت تيجي زي ما طلبت.

برقت عينيا وأنا بضغط علي أسناني بغضب وعروقي بتبرز من الغضب لما أتخيل أنه هيكون قدامي بعد دقايق:

-هانت..هانت كلها دقايق أكون عندك ما تقلقش..ابعتلي اللوكيشن علي واتساب..

--ماشي هبعته أول ما أقفل، بس يلا بسرعة العشا وصل وجعانين والشباب مش راضيين ياكلوا غير لما تيجي..

قفلت معاه وركبت موتوسيكل سيد اللي كان سايبلي مفتاحه في الچيم، وصلت العنوان ووقفت قدام المخزن القديم بتاع والد واحد من الشباب فاتح مصنع ملابس، وقفت برا وأنا للحظة مابقتش مدرك أيه اللي بعمله ده؟ وأن أيه جابني هنا؟

بصيت في السما اللي غيومها بتفكرني بتقل همي، كلمته جوايا وانا رافعله وشي" أنا عاجز وغضبان ومش عارف أعمل أيه غير كده..هو أذاها ومارحمهاش ولازم ياخد جزاءه...سامحني"

دخلت عليهم وسلمت علي الرجالة، ريحة كتمة المكان خلتني في البداية سعلت وعينيا بتدور عليه تحت ضوء اللمبة البرتقالي، فهم سيد حيرة نظراتي فجاوبني من غير ما اسأل:

-تعالي لسه جوا...في ابعد مكان علشان تسمعه بيصرخ براحتك.

ابتسمت بغل وخطينا خطواتنا لجوا وكل ما ندخل أكتر كل ما المكان يكون مقفول ومكتوم اكتر ويفكرني بضيق ضلوعي علي قلبي ونبضه من يوم أمبارح...سألني قبل ما نوصل بخطوات:

- اللي عمل فيها كده دي تبقي حبيبتك؟

رجلي وقفت مرة واحدة عن الحركة وقلبي نبض نبضة غريبة، مش فاهمها بس نبضة خلتني ساكت مش عارف ارد، ندهلي

-جمال..

--....

-بقولك اللي عمل فيها كده تبقي حبيبتك؟

بصيتله وهزتله دماغي بالنفي وقلتله:

-صاحبتي...وبنتي، هي كده بالنسبالي.

ولع سيجارة وقالي:

-يا راجل كل القلبان ده وصاحبتك؟ أنت أكيد بتحبها هنصيع علي بعض؟

بصيتله بغضب وأنا مش عارف هو ليه بيقول كده؟ لكني جاوبت باللي اتردد جوايا..

-مش لازم الحبيبة بس هي اللي يتعمل علشانها المستحيل، الأخت أولي من مليون حبيبة، وأوقات الصديقة بتكون مهمة لدرجة أبعد من المكانة اللي ممكن تبان أنها فيها...

أنا وعدت ملك من أوائل صحوبيتنا أني هكون أخوها اللي يحميها وصديقها اللي يبعد عنها الأذى، وإن لو طالها غصب عني مش هسامح نفسي غير لما ادوقه للي اذاها وفشلت في الأتنين الأوليين.. بس مش هفشل في التالتة.

كان متفاجئ من صدق كلامي وعمقه، وده ظهرلي من بصته الثابتة ورافعة حواجبه والسيجارة اللي نارها بتفتتها زي ناري اللي بتفتت ثباتي من جوا.. وما أخدش منها ولا نفس وهي قدام شفايفه!

دخلنا لأخر حتة في المخزن، متربط في كرسي حديد في جزء منها جنب الحيط، في وشه شوية كدمات بسيطة وخالعين هدومه الا القليل منها...بصتله والحقيقة استغربت رد فعلي...كنت متخيل اول ما هشوفه هقطع وشه بأيدي لكني ببساطة جبت كرسي قدامه وقعدت وهو باصصلي بخوف ومازال بيوصلي من عينيه الحقد والكبر.

بصتله بهدوء تام وأنا بفتكر كل كلمة ملك حكتهالي، كل رد فعل سيء عمله معاها وكل إهانة...بفتكر رجفتها وكدماتها وغيابها عن عالمنا...بفتكر أنه عراها تلت ليالي في شقة ضلمة برد لوحدها!!

-ها يا جمال عايزين نتفرج هتعمل ايه في البتاع ده! أنت جاي تتفرج عليه إحنا عايزيين دم.

ضحك احمد ومع ضحكته ضحك الشباب بما فيهم سيد اللي عضلاته بتتهز مع ضحكه، بصتلهم بنفس البرود اللي ماكنتش عارف أنا جايبه منين ورجعت بصتله تاني وقربت منه بجسمي وهمست في ودنه:

-أنت اللي زيك بيستلذ بالدم والضرب...وأنا كنت ناوي علي اللي في دماغهم ده فعلاً...كنت ناوي أخليك ناقص...

بصيت لجزءه السفلي ورجعت بصتله وكملت:

رجولة..

بدا يتحرك بعنف علي الكرسي يحاول يفك نفسه، مسكته من شعره اللي شبه الليف بس اسود وكملت همس:

- أنت اللي ينفع معاك مش الدم...أنت ضعيف وجبان، جواك فاضي...أنت نفسك رعبها اكبر..وانا هتعامل معاها هي مش معاك.

طلبت منهم يفكوه من الكرسي ويربطوه لوحده كويس ويفضل في الأرض لحد ما ارجع...اخدت لفة في المخزن، بحاول أدور علي اكتر طريقة ممكن يتساب فيها وحيد وجبان!

لقيت اللي بدور عليه...ضحكت جامد، أحمد كان داير ورايا في المكان وعمال يسأل

-فهمني طيب عايز ايه وهفيدك...أنا حافظ المكان أوي..يا جمال..

دخلي المكان اللي وقفت فيه وسمعني بضحك جامد فاستغرب وعينيه بتلف في المكان:

-بتضحك علي ايه وأيه جابك هنا؟

سكت وسألته:

-الباب اللي هناك ده بيودي علي فين؟

--دي الأوضة دي ليها بابين مش واحد..

شاور اتجاه اليمين اللي كنت بسال عنه وقال:

-ده بيوصل لأوضة المكتب.

اتقدم خطوتين جهة الشمال وأزاح حاجة طويلة متغطية بغطا بلاستيك تقيل ظهر وراها باب صغير، قال:

-ده بقي حمام بس ما انصحش أنك تفتحه.

سألت:

-ليه؟

--المجاري بايظة فمش محتاج أقولك وأكيد هيبقي في صراصير، علشان كده قافلينه من زمن..

ابتسمت وربت علي كتفه واخدته وخرجنا، سأل:

-ايوا كنت بتضحك علي أيه؟ وبتدور علي ايه؟

--اصلي لما دخلت وشوفت منظر الحاجات المتغطية دي اتخضيت، ومافيش ثواني ولمحت واحدة بصالي من تحت غطا من الغطيان فاتنطرت لورا من الخضة ولما استجمعت قوتي وشلت الغطي طلعت مانيكان فبكده لقيت اللي بدور عليه...

-مانيكان؟

ضحكت:

-رعب نفسي ياغبي..

ضحكنا ورجعنا ليهم وانا مبتسم ولأول مرة أفهم احساسه في الأذى...لذة الانتقام لا تقاوم..معذور.

قربت منه ومسكت قميصه المرمي جنبه وقطعته بكل عزمي وربط عينيه بيه، سألت بعد ما وقفت:

-مدي الصوت اللي ممكن يتسمع من صريخ هنا ايه؟

ضحك سيد بسخرية وقال:

-لا خد راحتك انت لو حرقته حي هنا ما حدش هيسمعه.

شيلت الرباط والفوطة اللي في بوءه، ماسمحتلوش ياخد نفسه ولا يتكلم وشديته من شعره وجرجرته علي الأرض بكل غلي لحد ما وصلت بيه للغرفة وهو مش شايف حاجة وصريخه بيحرك نشوتي ويزيد حماسي اكتر...رميته في نص الغرفة وضهره مليان جروح وفتحت باب الحمام قبل ما اخرج من كتر ما الريحة موذية....

مشيت وسيبته للحشرات والريحة والعجز..سيبتله محاولة واحدة للمقاومة وهي صريخه...

صريخه وصلني وأنا برا الغرفة فبعدت عن الباب،، الشباب مصدومين من فعلتي رغم أنهم شايفين ان اللي كنت ناوي عليه أقوي، لما وقفنا قدامها بكام خطوة وهما بيتناقشوا هيعملوا أيه لاحظت صرصار كبير خارج من تحت الباب، وسمعته بيصوت" في حاجة ماشية عليا...أنتوا حاطني فين؟؟ أيه دا...يا جماال خرجني يا جماال"

جابر الشاب التالت اللي معانا داس علي الصرصار برجليه وقالنا:

-يلا نتعشي وسيبوه يصوت زي الستات كده لحد ما يتعب...عيل خنزير.

أخدوني وأنا رجعت لحالة التوهة الأولي، سامع صريخه وهما بياكلوا ومركز في الفراغ ، بيستنجد بيا..هي كانت بتستنجد بيا برضه...

قمت وقفت ورميت الكرسي اللي كنت قاعد عليه والشباب اتفزعوا وسكتوا حاولوا يقوموا يوقفوني وانا رايح الغرفة اللي هو فيها وكلي غضب لكن المرادي مش هقدر أقاوم نفسي قصاد حد...

****

"ملك"

الكابوس ممكن تصحي منه مخضوض فتفوق بتلهث، تتلفت حواليك علشان تكمل الصورة فتطمن وروحك تهدي لما تتأكد أنك كل اللي عيشته ده انتهي ومش هيجي تاني...فابتتنهد وترجع تنام.

لكن لما يكون الكابوس هو الواقع اللي تصحي عليه من نوم جميل...جميل علشان فاضي، ساكت مافيهوش تفاصيل غير انك أخدت راحة من العالم لساعات، ساعتها مش هتقدر تاخد نفسك وهتفضل تلهث وتتلفت حواليك خايف..حتي لو حواليك 100بر أمان فأنت بالفعل في الكابوس الأساسي...الكابوس النفسي اللي عايشه جواك...مش هتعرف تترمي في حضنهم وتعيط، أنت هتبتعد عنهم وترتجف من الرعب...

في الكابوس بتصحي علي صويتك المكتوم...

في كابوس الواقع بتصحي تدافع عن المك بكل طاقة الصريخ اللي عندك..

لو كنت وقعت من حافة الهاوية في الكابوس واتألمت هتصحي سليم معافي...ولكن كابوس الواقع كل ضربة أصابتك داق طعم ألمها عقلك وحفظ مراره وهيفضل يفكرك بيه...كل جراحهم ألامها هيرجعلك مرة واحدة مش هتبقي عارف تشتكي من اي واحدة فيهم !

وأنا صحيت من هدوء ماكنتش متخيلة أعيشه تاني للحظة علي كابوس واقعي، ألمي النفسي من أن اللي عشته كان حقيقي وأني هصحي أفتكره، وأني خايفة من كل الناس كان اعظم من ألمي الجسدي اللي كان ممتلك جسمي كله وبالذات مشط رجلي اللي رمالي عليه الكرسي وقت ما حاولت أهرب منه...

كنت حاسه بتقل عليه شديد بجانب الألم وماكنتش فاهمة ده ايه..كنت بصرخ بس من الخوف..توقعت جمال هيسمع صراخي ويجي بس أسيا اللي ظهرت..أنا خفت منها، أنا مش عارفة أحضنها ومش عايزاها تلمسني...

هي بتنادي لمين، أنا عايزة امشي، خبوني هيجي تاني ويضربني...

بحاول أقوم من السرير مش قادرة أتحرك، ضلوعي كأنها جوا جسمي متكسرة...شيلت الغطا من عليا، شوفت رجلي المتجبسة، شوفت الشاش اللي حوالين رجليا ...

دخل دكتور وممرضتين، أنتي كمان مؤذية يا أسيا، ليه جبتيهم؟ هاتي جمال يبعدني عن الناس، هو فاهمني..افهميني بقي!

بتعمل أيه أنت! حقنة لا بخاف من الحقن؟ أنا ليه صوت صريخي مش طالع؟ ليه صوتي مش موجود؟

أنا حاسه بألم في حنجرتي..

حاسه بشكة الحقنة....و..وخمول...أنا...

أنا رجعت اهدي تاني، بس أنا سامعاهم، بس مرتاحة وأنا مش معاهم، انا مستخبية هما مش شايفني، بس انا سمعاهم...أنا في مكان ابيض مش شايفة حاجة فيه حتي نفسي

أسيا بتبكي:

-هو أيه حصل يا دكتور انا مش فاهمة؟

الدكتور اللي صوته قريب من مستر سلطع البخيل اللي مش بحب صوته قالها:

- ماتخافيش، كل ده طبيعي من صدمة اللي عاشته، مش هتفضل طول عمرها كده بس هي محتاجة وقت...أحنا اديناها حقنة مهدئ تانية ولما تصحي المرة الجاية هتكون اهدي بس ما تقربيش منها غير لما يكون في منها إشارة لده..

يعني انا مش بحب مستر سلطع فتكرهني فيه زيادة وتديني مهدئ!
أنا مش عارفة بتكلم ازاي هنا براحتي بس انا مرتاحة كده...

بعد دقايق وصلني صوت الباب بيتقفل ومافيش اصوات تانية في الغرفة، ممكن أسيا خرجت..وممكن بيتهيألي..بس هدوء المكان خلاني ماحستش وماسمعتش حاجة تانية وغالباً نمت...لحد ماسمعت صوته...كنت عايزة انط بس أنا مش عارفة اتحرك، كنت عايزة أقوله كنت فين؟ ليه سيبتني لواحدي أنا كنت خايفة!

صوته كان مخنوق ومهزوز أكتر من أي مرة جالي بضعفه فيها:

-أنا ماقدرتش يا ملك...ماقدرتش اسيبه للأذية، أنتي ليه علمتيني أبقي كده؟ مش عارف اخد حقك..عايز اقتله وصوتك جوايا بيتردد وأنتي بتقوليلي
"ربنا أكبر مننا كلنا ومهما وصلت قسوة عقابنا مش هتكون زي عقابه ولو قارنت نفسك بيه وعاندت وانتقمت من اللي ظلمك ربنا مش هيجيبلك حقك وانت اللي هتبقي محقوق لأنك اذيت نفس ليها مالكها.."

كنت عايزة أبتسم علشان هو قلبه جميل، بس كنت بتألم وأنا بسمعه...إحساس الظلم والأذى من أقسي الأحاسيس اللي ممكن تبتلي بيهم..وأنا عشت الأتنين بعمق، شوفت التعذيب ليالي علي أيد واحد مش عارف إن في ربنا...

تفاصيل بتئذيني وأنا بسمعه ومتكتفة بمخدر الأعصاب اللي بيجري في دمي، بيبكي ويكمل:

-صريخه كان بيفكرني بصريخك وأنتي بتستنجدي، كان لازم اكتم صوته وأخليه يسكت...كنت خلاص هفرح بانتقامي منه وهردله اللي عمله، بس أنتي حضرتي في عقلي ودخلت أنقذته وسكته تاني ومشيت...

أنا من وقتها وأنا قاعد قدام المستشفي مستني معاد الزيارة تيجي علشان اشكيلك...قومي انا عايز اطمن، أنتي لوحدك بتطمنيني يا ملك.

سمعت الباب خبط ودخلت أسيا وقالت لجمال:

-بابا وماما طالعين يا جمال..

حسيت بدفي في أيدي، نبض وصلني من لمسته لأيديا حسسني بكهربة جريت في جسمي كله لحد ما وصلت قلبي انفجرت فيه بنبضة تقيله عليه...ماكنتش عايزاه يبعد، كنت عايزة اقوله حاجات كتير..سمعت صوتهم دخلوا وسلموا علي جمال وأسيا، مش بحب صوت بابا حزين، بس هو اكيد غضبان مني علشان خذلته وحبيت من غير ما اصارحه..بس أنا خفت منه وهو ما عودنيش اصارحه، كان طول الوقت بعيد، في كل خوف وحزن ليا وأي فرحة نفسي يشاركني فيهم كان بعيد...كلهم بعيد، ولما احتاجتهم هو قرب...

أنا عايزة اتأسف لبابا أنا غلطت..عايزة اشيل الحزن اللي في صوته، ماما كمان صوتها مكسور..كلهم ماذيين بسببي..أنا غلطت في حقهم كلهم...وهو استغل احتياجي وانتصر عليهم بيه وعرف يملكني في وقت غفلتهم..

هو!!

أنا خايفة..

أنا عايزة أمشي..

أنا عايزة استخبي وهما يمشوا...انا عايزة حضن، اطمن..

أنا عايزة جمال..

-ايه بقي اللي انت خليت امن المستشفي يضحك علينا بسببه ده؟ بقي انا في سني ده اتفتش يلاقوني داخلة بده؟ ولما يسألوني اقولهم ده لبنتي..بنتي ايه اللي 23سنة وهدخلها بده!

ضحكوا ضحكة مطفية أنا عارفة ضحكتهم المبهجة..بس مافهمتش بيتكلموا عن أيه، بس مش مهتمة..انا محتاجة أطمن..

سمعت خروشة شنطة بلاستيك، وسمعت جمال بيقرب ناحيتي..هو سمعني وعرف اني محتاجاه!!

حسيت بحاجة دافية كبيرة اتحطت بين دراعاتي، نعومتها مألوفة لحضني، ليها مناخير كبيرة بتخبطني دايماً في دقني وكنت بشكي لجمال منها...دبدوبي!

هو ازاي بيفهمني من غير ما اتكلم؟

6

"جمال"

اتعودت منها علي الصراحة، كنت عارف أمتي أخد منها الكلام وأنا مصدق تماماً، وأمتي أعيد السؤال تاني وأنا في ضحكة عايزة تطلع مني علي توترها وكلامها المتكركب وحركة إديها اللاإرادية اللي بتضغط علي صوابعها...وقتها بتاخد نفس كبير وتخرج بزفير قوي وتفك ايديها وتقولي

"خلاص خلاص هقول الصراحة"

كانت لازم مع كل مرة تبقي مخبيه حاجة واطالبها بالصراحة تاخد قبلها شرط..ودايماً شرطها مابيتحققش..

"بس ما تتريقش وما تضحكش ماشي؟"

قلتلها حاضر وأنا مستغرب، هضحك واتريق ليه علي إجابة سؤال مين اكتر حد بترتاحيله وتلجأيله وقت خوفك وحزنك وبيطمنك بجد؟

سكوتها وتوترها في الأول قبل ما تقولي أسيا أختي هما اللي أكدولي إن في إجابة تانية بتحاول تخبيها..

بدأت تتوتر أكتر وتبص لكل حتة في الجامعة إلا أنها تبصلي، استقرت أنها تبص في الأرض وأيديها رجعت تضغط علي صوابعها في حركة لا إرادية...في اللحظة دي شكيت إن ملك بتحب حد لكن ردها الحقيقي خلاني أضحك ضحكة عالية أشبه لضحكة وائل غنيم في سخريته

"دبدوبي.."

لما ضحكت ضمت شفايفها ودراعاتها بتكشيرة طفولية جادة

"كنت عارفة أنك هتضحك علي فكرة، ومش هقولك سر من اسراري تاني يا جمال علي فكرة"

حاولت اتمالك نفسي وقلتلها بمرح" أنا مش بضحك علي دبدوبك، قد ما بضحك علي كم التوتر اللي كنتي فيه واللي خلاني اشك أنك بتحبي حد أصلاً"

استرخت وابتسمت وتحولت من طفلة بريئة لامرأة عشرينية ناضجة ودي من أرقي صفاتها...تعدد الشخصيات وتغييرهم بشكل دقيق مع كل موقف يحتاج كل واحدة فيهم..وبهدوء الدنيا قالت

"تؤ..أنا بحبه فعلاً، بس لأنه عارف مهمته اللي جاي علشانها وبيقوم بيها علي أكمل وجه من غير ما يطلب مقابل. إنما بني أدم أحبه دي لا..مش بآمن بفكرة الحب يا جمال وأنت كصديقي المقرب لازم تكون مدرك ده وفاهمه، في حاجات تانية أهم كتير من الحب هي اللي بدور عليها.."

كنت مندمج ومستنيها تكمل لكن بصتلي وتراجعت عن باقي كلامها ورجعت ابتسامتها الطفولية ونبرتها المرحة ترجع من تاني وتقولي " نرجع لدبدوبي بقي بما أنك أول حد يعرف عنه..استني هحكيلك"

كنت بسمعها باهتمام وانا مبسوط ومندهش، كانت عفوية وبتتكلم بحب وراحة حقيقين عن قد أيه بترتاح لما بترجع من يوم طويل مرهق وتنام في حضنه وتحكيله عن يومها، وعن إن أوقات كتير بتتضايق أنه مش بيرد عليها بس حضنه بيراضيها وبتنام بارتياح، وحكتلي عن الأيام الصعبة والمواقف المؤلمة اللي مرت بيها...عنيها لمعت بلمعة حزينة وهي بتفتكر وتحكي

"كنت لما بنهار وأعيط جامد ومايكونش عندي الحد اللي أحكيله ويطبطب عليا كان هو الوحيد اللي بحضنه وأهدي بعد ما افرغ كل طاقة العياط اللي جوايا، كنت بصحي من نومي أحس لمسته بابتسم واطمن أني رغم الليل السيء والنوم اللي مليان كوابيس..ماكنتش لواحدي"

كنت واقف باصصلها من بعيد في ابعد ركن في الغرفة، وبفتكر أول مرة حكتلي عن دبدوبها وببتسم بجد، لما حكتلي كنت بحاول اتخيل شكلها ازاي وهي في السن ده وحاضنة دبدوب أبيض ليه ودان بينك، ولابس فيونكة ومناخيره كبيرة بتخبطها كل مرة تحضنه في دقنها...لكن ماتوقعتش أبدا تكون بكم البراءة دي، كم الهدوء اللي اتسلل لملامحها بعد ما خرجنا من الغرفة ومامتها واختها غيرولها هدومها ولبسوها هدوم من البيت ورجعت لحجابها البسيط تاني، كانت نايمة في حضن الدبدوب وملامحها هادية مش زي قبل ما أحطه بين أيديها أبداً..

رغم الكدمات والهزلان اللي هي فيه والتغيير الواضح في شكلها، إلا أنها فضلت محتفظة بجمالها...

مش عارف أزاي هي بتشوف نفسها وحشة طول الوقت، ومع ذلك وهي في اسوأ حالاتها لسه جميلة!

سألني بدر أخو ملك بابتسامة خبيثة:

-بس أنا مش مقتنع بالكلام اللي أنت قلته للمباحث، واتمني يكون اللي في بالي صح.

بصيت تجاه أسيا ووالدتها اللي بان علي ملامحهم انهم منصتين لينا ورجعت بصيت ليه وأول مرة أخد بالي ان ملك تشبهه أوي كده، هي مش عينيه كانت زرقا أمبارح وهو لابس تيشرت كحلي؟ ازاي بقت عسلي النهارده مع التيشرت الأحمر!

ركزت وشاورتله بدماغي أنه يخرج معايا نتكلم برا، استأذنا منهم وقلتله ننزل نجيب قهوة من الكافيتريا ونتكلم وإحنا في طريقنا سألته:

-أيه اللي في بالك؟

ضحك وقالي:

-لا اسمع منك الأول وأقولك..

مش معقولة العيلة دي، العند والذكاء عندهم بالوراثة!

ابتسمت وقلتله:

-الظاهر إن ملك تشبهك جداً.

بصلي بعد ما وقفنا قدام الويتر وطلبنا قهوة سادة سأل:

-ليه بتقول كده؟

ضحكت:

-أهي برضه بتسأل كده دايما حتي لو اتسألت سؤال بتجاوبه بسؤال..

فيكم أوي من نفس طريقة الكلام، والشكل.

ابتسم وسألني:

-علي كده أنت تعرف ملك بشكل كبير مش مجرد زمايل!

افتكر حاجة فأضاف بسرعة:

-هي صحيح وصلتلك انت تحديدا ازاي واشمعني انت اللي بعتتلك مش أي حد عنده؟

اتفاجئت من السؤال وفكرت شوية وأنا باخد من ايده كوباية القهوة وبمشي معاه عشان نقعد في الاستراحة، بصتله بحيرة ورديت:

-يمكن علشان كان عندها ثقة اني هتصرف!! أو أني مش هخذلها!

أنا وملك أصدقاء من بدري ومش هكدب عليك ملك بعتبرها اختي وبنتي...بص هو أنا حاسس أن كلامي ممكن يخليك تضربني، بس

ربنا يعلم أني عمري ما بصتلها بصة وحشة ولا ضايقتها ولا هي خانت ثقتكم فيها..بس هي دايما كانت بتعتبرني أخ تاني معاك فكانت بتلجألي لو عندها مشكلة وكنت بحلها معاها فممكن علشان كده..مش عارف!

بصلي بتركيز وبعدين قالي:

-كان ممكن لما أسمع منك الكلام ده في وقت تاني كنت قتلتك وزعلت منها، لكن بعد وقفتك معانا واللي عملته معاها يأكد أنها غالية عندك وأنك شخص صادق.فهنأجل الفكرة ولما تروق اقتلك.

ضحكنا وقلتله:

-يعني أنا هتقتلني وهي تزعل منها بس!

--ايوا هي اختي انما انت عادي..

ضحك بس انا ماضحكتش، سكت..هو مايقصدش بس الجملة وجعتني، شربت من القهوة بصمت

-أنت زعلت؟ أنا ما قصدش يا جمال..أنت زي أخويا أكيد ولا أنت مش عايز أخوات بس غير ملك!

بصيتله بإمتنان..قلبه نقي زيها، بيعرف يجبر بالخاطر، صارحته ومش عارف ليه، بس يمكن يكون علشان حابب أنه يكون أخويا زيها برضه:

-مش زعلان، هي بس الجملة ضغطت علي جرح مش بيلتأم عندي..أنا مش عندي أخوات حالياً..ولا اب وأم.

حسيته اتأثر وهو بيقولي:

-أنا اسف انا ماكنتش اقصد وماعرفش أنك وحيد و..

--أنا عارف علشان كده مش زعلان..بس أنا مش وحيد أنا عندي أخويا الكبير..بس هو مغترب وعايش في الكويت مع اسرته بيسأل عني كل فترة ولما بينزل أجازات بيجي يقعد عندي يومين..وعندي ملك..وانتم..

ابتسم بلطف:

-طيب ومش من حق الاخ الكبير يعرف من أخوه الصغير هو عمل أيه في ريان؟

بصتله بذهول وقلت لا اراديا بصوت المرة دي:

-انتوا عائلة مش منطقية بجد! الواحد يتهرب منكم علي قد ما يتهرب وبرضه مابتنسوش وبتصمموا علي اللي في دماغكم،

ضحك وقالي:

-هي ملك بتعمل كده برضه!

شربت اخر شوية من القهوة وقلتله وأنا بشرح بأيدي:

-يييه كتيير..

ضحكنا وسألني بجدية:

-أنت اللي خافي ريان صح؟

قلتله بصدق:

-مالحقتش أعمل فيه اللي يستاهله بس مش قادر أنفذ من كتر ما ضميري بيأنبني..أختك كانت بتديني دروس في قوة الضمير طول فترة صداقتنا وللأسف نجحت في اول اختبار شديد ليا..

--يعني عملتله أيه؟

-شوية رعب نفسي بسيط مع شوية ضرب وكدمات..وحالياً راميه في مخزن قديم مستني أعرف هسلمه للبوليس ولا هعمل فيه ايه؟

--أنا عايزه.

صدمني حدة رده وقلتله:

-لا يا بدر انا لو ادتهولك هتودي نفسك انت في داهية..أنا قررت خلاص هسلمه للشرطة وهما يتفاهموا معاه.

قبل ما نتجادل دخل علينا سيف وقال:

-كويس أنك أخدت القرار ده..بس هو بالفعل هناك حاليا أنا اتصرفت قبلك.

معرفش عملت كده ازاي بس أنا كنت كداب أنا ماكنتش هسلمه، ولكن سبب اني قلت كده كان خوفي من التهور اللي شوفته في عيون بدر، لقيتني بمسك سيف من رقابته بغضب وبزعق فيه:

-وأنت مين سمحلك بده؟ أنا بأمنك علي سر تروح متصرف من دماغك؟

حاول بدر وكذا حد من المستشفي يخلصوه من أيدي وبعد مابعدوه عني وسعل بقوة قالي:
-يعني كنت اسيبك تودي نفسك في داهية؟ ما كله علشان مصلحتك..وفي الاخر ما ده اللي انت بضميرك اللي كان بيكلمني أمبارح قلت انك هتعمله.

--تصدق بالله! الغلط عندي انا علشان صارحتك بمكانه وباللي حصل...

سيبتهم وخرجت من المستشفي وأنا كل الغضب اللي في الدنيا متملكني، عايز أكسر، عايز أضرب واشتم وازعق..عايز اجري.

فضلت اجري لحد ما نفسي قرب يتقطع ورجلي ألمتني، قعدت علي الرصيف وأنا بلهث وبعدين فكرت.."هو أزاي سيف سمحوله أنه ياخد ريان من المخزن؟"

أتصلت بسيد وسألته:

-فين ريان؟

--أنت مش كنت باعت صاحبك يحرسه امبارح في المخزن علشا ن نروح إحنا نرتاح؟

اتعصبت أكتر:

-يعني ضحك عليكم! تلاتة هضاب ضحك عليهم واحد! لا أنا مابعتش حد يحرسه وهو ثبتكم بكلمتين ولمجرد انه كان معايا في الموقف أمنتوله..البشمهندس سيف سلمه للبوليس.

قذيفة من الشتائم انهالت علي سيف من سيد الغضبان من حيلة سيف السخيفة اللي دخلت عليهم وبعد ما قفلت معاه قررت هروح أرتاح شوية في البيت بعد ما اطمنت علي ملك شوية علشان ارجعلها تاني...بصيت في الساعة اول ما دخلت البيت كانت 1 الظهر، دخلت علشان أنام لقيت تليفوني بيرن، فكرت سيف بيتصل يعتذر لكن لقيت أني عندي حاجة تانية محتاجة تأنيب ضمير..

-إكرام! أسف أني ماكنتش برد اليومين دول..

كان صوتها هادي رغم التوتر الطفيف اللي واضح فيه:

-ولا يهمك..أنا مدركة اللي أنت فيه، ملك أخبارها أيه؟

اتنهدت بهم وفردت جسمي علي السرير وغمضت عينيا وقلت:

-متهالكة..منه لله، لو شوفتي حالها هتتعبي نفسياً وهتخافي تنزلي من بيتكم وتخافي من كل الناس حتي القريبين ليكي.

حسيت بأن صوتها ارتبك أكتر وماسالتش حتي في التفاصيل وقالت باختصار استفذني:

-اها..ربنا يقومها بالسلامة ويصلح أمورها، وأنت عامل ايه؟

--أنا عامل أيه؟

تمام أنا بخير الحمد لله وأنتي؟

سكتت لحظات وبصوت خافت متردد قالت اللي بقالي فترة بترجاه منها:

-وحشتني.

مش عارف ليه ماحستهاش، أو وراها كلام تاني، شعوري بيها كان ضيق وأني عايز أقفل، رغم اشتياقي للكلمة دي منها..

هو ممكن الانتظار الكتير بيموت فرحتنا واحتياجنا للحاجة اللي استنيناها وماجتش!

-وأنتي كمان..

ماقدرتش حتي انطقها وأكتفيت بالكلمتين الناشفين دول واتحججت بالتعب والنوم وقفلت..بس أنا شكلي ماقفلتش المكالمة، أنا في حاجة

تانية اتقفلت جوايا ومش قادر أفهمها، هي دي إكرام حبيبتي اللي كنت هتجنن وارتبط بيها في يوم من الأيام!!

فتحت عينيا والكلام من جوايا بيئذيني

"ليه وصلتينا لهنا يا إكرام؟ أنا كنت بحب حبي ليكي وكنت شايفه شيء عظيم، ليه ماحاولتيش تفهميني زي ما فهمتك؟ كتير كنت محتاجك كنتي بتضغطيني أكتر..وكتير كنت بفهمك احتياجاتي وماكنتيش بتقدميها...عارفة!

أنا مقتنع جداً إن اللي بيحب حد بيحبه زي ما هو بعيوبه ومميزاته، لكن بيحاول يفهم حبيبه ويريحه، بيبقي عنده استعداد يتغير معاه للأحسن علشان يكونوا مترابطين اكتر...لكنك ماعملتيش كده...ماكنتش بحب الجأ لملك وأنتي في حياتي، كنت لما مش بلاقيكي بروح ليها وأنا زعلان..كانت بتقوم بمهمتها وتريحني وكنت سعيد بده ومحتاجه منك..بس كان بيكون في حاجة ناقصة ملك عمرها ماكانت هتقدر تقدمهالي، المشاعر...

المشاعر اللي بعد ما برتاح واهدي ببقي محتاج الاقيها منك علشان اكون سعيد..

لكن حتي دي ودي ماكنتيش بتعمليهم، كنت بكتفي بالارتياح والهدوء اللي ملك ساعدتني بيهم لأنها مجرد صديقة..ولما مالقيش المشاعر منها واجيلك كنتي يا بتصديني، يا بتبادليني مشاعرك ببرود..

أنا فعلاً تعبان..ورغم ده بحبك ومحتاجك بس مش قادر اقولك ده تاني"

نمت وتليفوني قلقني علي رقم غريب

-الو السلام عليكم!

--وعليكم السلام، أنا بدر يا جمال اخو ملك..

اعتدلت وخفت يكون في حاجة حصلت لملك سالته بسرعة:

-اه ازيك يا بدر، خير في حاجة حصلت ولا ايه؟

بصوت حاد مناقض لمعاملته ليا الصبح:

-ملك فاقت ومش عايزة حد يقرب منها ومابتتكلمش مع حد وكل اللي عايزاه جمال والدكتور طلب انك تيجي علشان رافضة حتي تاخد مهدئ.

قلبي دق بقوة وأنا بسمع كلامه، ماعرفتش أرد غير بحاضر وقفلنا السكة وانا في حالة توتر وذهول..ملك طالباني انا وأهلها حواليها ورافضة تواصلها معاهم؟؟

لما وصلت قدام غرفتها وسمعت صوت بكاها مابقتش فاهم بس كان قلبي قلقان عليها وبيدق بسرعة وملهوف ادخلها، وحاسس إني بعيش حياة جديدة مش بتاعتي..انا كنت بتفاعل مع حزن ملك ومشاكلها بعقلي..ليه قلبي عايش الموقف كانه يخصه!

لما دخلت وشوفت نظرتها ليا ونطقت أسمي ولأول مرة أحس اسمي كأني أول مرة اسمعه..حضرت في دماغي جملة وقفت الزمن حواليا وحسيت اني مش فاهم حاجة..

"ماتشغلش بالك بيا واهتم أنت باللي يخصك واللي قادر تحس بيه فعلاً..."

7

" سيف"

أنا توقعت إن جمال يزعل، بس مش لدرجة أنه يحاول يخنقني ويهيني قدام الناس!

خرجت من المستشفي من بعد ما سألت علي ملك وسلمت عليها انا وخطيبتي اللي كانت علي علاقة زمالة مع ملك وقت الدراسة وكنت سايبها عندها فوق لما عرفت أن بدر وجمال تحت ونزلتلهم

روحت علشان اوصل مرفت وواحنا في الطريق سألتني:

-مالك متضايق ليه من ساعة ما طلعت من الكافيتريا؟ هو جمال زعل منك علشان اللي عملته وسابك ومشي؟

بصتلها بعد ما قفلت شباك الميكروباص لأن عوادم السيارات بتزعل جيوب الانفية عندي، قلتلها:

-زعل! ده مسك فيا وكان هيضربني قدام الناس علشان ملك يا مرفت، أنتي متخيلة؟

سألت بخوف:

-ليه انت قلتله غير اللي اتفقنا عليه؟

--لا طبعاً مش هينفع غير لما يهدي، بقولك يادوب عرف اني سلمته للبوليس من وراه عمل كده، اروح اقوله اني هربته؟

اتكلمنا شوية في التفاصيل لحد ما وصلنا لمفترق طرق وكل واحد كمل لواحده وعقلي استلمني تفكير، افتكرت مكالمة إكرام ليا وهي خايفة وبتحكيلي اللي عملته، ورعبها من إن ريان يكون عرف حاجة لجمال، وفي نفس الوقت كنت بفكر هو ليه ريان عمل كده في ملك رغم انه كان بيقول هيصالحها!؟ وهو كان بالفعل ناوي ومخطط لده! ولا الامر جه معاه صدفة؟

قفلت معاها بعد ما وعدتها هحاول اتصرف، بس ما كنتش عارف فعلاً هعمل ايه. إكرام كانت صعبانة عليا وعايز اساعدها ومش عايزها هي وجمال يخسروا بعض، بس المشكلة اني مش عارف اوصل من جمال بمعلومة مفيدة عن ريان ومتأكد انه مش ناوي علي خير ابدا، وبعد اللي قالهولي بقيت خايف عليه هو كمان وعايز أساعده يبعد عن شرور نفسه، وشايف أنه بصراحة مأفور جداً. ملك ما هي إلا صديقته ماتوصلش معاه أنه يئذي واحد كان صاحبه في يوم من الايام علشانها..أه هو أذي ملك جامد بس اكيد في سبب وأنا لازم أعرفه!

اتكلمت مع مرفت كعادتي بحب اتكلم معاها في كل حاجة وأي حاجة، حكتلها اللي دار بيني انا وإكرام، وكل اللي دار في حوار ملك كله، كانت متفاجئة ومصدومة، وفي نفس الوقت مستحقرة ريان بس أنا كان عندي شعور إن في حاجة ناقصة، أيه هيخلي حد

يعمل في حد كده إلا إن كان هي أذته فعلاً؟ كان واضح من كلام ريان عنها وعينيه اللي بتبصلها ببهجة إنه بيحبها، ليه هيعمل فيها كده؟

شاركت مرفت أفكاري، ردت بتفكير:

-تفتكر ممكن تكون ملك عملت أيه يخليه يعمل فيها كده؟ وبعدين عندك حق هو لو عايز يئذيها وخلاص، ويئذيها بجد كان زمانه أغتصبها ورماها في الشارع كإنتقام إنها سابته ومش عايز حد يقرب منها تاني زي ما توقعتم في الأول.

كنت هتجنن الافكار بتتنطط في عقلي، الكلام في شيء من المنطقية، هو فعلاً معملش كده، هو أكتفي بضربها وحبسها زي ما وضح...لكن ليه؟

بعد شوية اتصل جمال بيا وهو متعصب وطلب يجيلي، الساعة كانت قربت علي 3 الفجر فاستغربت لكني رحبت جداً، نزلتله واتمشينا في الشوارع شوية وحكالي عن اللي عمله مع ريان ومكانه، كان بيفضفض معايا وبسمعه وأنا متضايق منه بس لو لومته في اللحظة دي وهو متعصب هنخسر بعض، سألته:

-وبعدين دخلتله وعملت أيه؟

رد بندم وحزن:

-كان نفسي اقتله بس استنجاده بيا صحي ضميري، ماقدرتش ابقي قذر زيه وأذيه، لما دخلت كان في كام صرصار عليه بعدناهم عنه

واخدته برا وفكيت عينيه وهو باصصلي بتوسل، قلتله "مش قادر أكون خنزير زيك، هي كان عندها حق أنا مهما وصلت بيا القسوة عقاب ربنا هيكون أقوي ليك وأنا هسيبك لعقاب ربنا"

ماكنتش فاهم هعمل فيه إيه ونظرته بتسألني يعني أيه الكلام ده، بس اللي سألني كان جابر وجاوبته:

-معرفش يا جماعة بس أنا مش هئذيه، سيبوه كده واحبسوه هنا لحد ما افكر هعمل ايه بكره، بس في أغلب الأحوال هسلمه لأنهم كده كده بيدوروا عليه دلوقتي ولو لاقوه عندكم هسببملكم كده مشكلة.

رد أحمد " وإحنا مش ناقصين مشاكل وحياتك، أنجز حالك مادمت مش هتعمل فيه حاجة يبقي سلمه بقي بدل الوقت اللي بيعدي وإحنا قاعدين نحرسه علي الفاضي."

اضاف سيد باستهزاء ساعتها "اللي يشوفك وأنت بتتكلم وجاي عينيك هتطق شرار مايشوفش الحنية اللي انت فيها يا چيمي يا حليوه دلوقتي! بقولك أيه يا جمال لعب العيال ده مابنحبهوش إحنا قاعدين هنا ومارتحناش وبنحرس الواد ده علي اساس إن في حق هيتاخد لكن الكلام الجديد علينا ده ماينفعش ياصاحبي"

جمال أخد نفس طويل وخرجه ببطء وبعدين كمل كلامه:

-بعد ماهدتهم بكلمتين ومشيت علشان اعرف أفكر براحتي لقيتني جايلك علي هنا، محتاج افضفض واتكلم ومالقتش غيرك يسمعني.

الفجر أذن وإحنا بنتكلم هديته وهزرت معاه لحد ما فك شوية واخدته وصلينا، وكل واحد رجع طريقه..روحت البيت وهو قال هيتمشي شوية تانين محتاج يكون لواحده، بس أنا استنيت لما بعد عن المنطقة وخرجت عربية والدي من الجراج وجريت علي مكان المخزن بتاع والد أحمد اللي كنت شغال في مصنعه فترة، لما وصلت الشباب رحبوا بيا وكانوا مولعين فحم وبيعملوا شاي، قعدت معاهم وبلغتهم أني كنت مع جمال وطلب مني أقعد احرس ريان علشان يروحوا يرتاحوا لحد ما يغير هدومه ويرجع وناخده القسم..

مش عارف ازاي كنت مقنع ليهم وبعد ماضحكنا شوية وشربنا الشاي مشيوا واحد ورا التاني وسابوني لواحدي معاه..كنت مستني اشوفه طول الوقت وما صدقت اول ما مشيوا دخلت المخزن ودورت في المكان اللي شرحه ليا أحمد ولقيته، متكتف من غير هدومه ومرمي جنب الحيط بملابسه الداخلية نايم، مش هنكر بس ريان صعب عليا..

من قبل يوم واحد كانت ملك مكانه وصعبت عليا جداً واتألمت علشانها بس ريان ده صاحبي وعشرة 5 سنين، كان لازم احزن عليه وأتجرح علي وضعه، جريت عليه وندهتله واول ما فاق وشافني خاف أكون جاي أكمل عليه اللي جمال بداه، لكني طمنته وقربت منه فكيت بوؤه، "خرجني يا سيف..مشيني من هنا بالله عليك جمال عايز يقتلني"

-ماتخفش محدش هنا غيري وماحدش هيجي جنبك وأنا هنا..بس ممكن تجاوبني علي سؤال؟

بصلي من غير ما يرد ففهمت أنه مستني السؤال:

-أنت ليه عملت كده في ملك يا ريان، ملك بتحبك!

لقيته بيتكلم بحرقة:

-بتحبني؟؟ دي كانت مورياني الزل والإهانة، كنت براضيها طول الوقت وهي مافيش حاجة بتعجبها، بعد كل اللي عملته معايا وبعد خلافاتنا الكتيرة علي غيرتي اللي مكانتش بتحترمها أبدا بتقولي عايزة انفصل، ولما سيبتها تهدي وروحت اصالحها ماردتش وزعقت في الشارع وضربتني بالقلم وسط الميدان! اهانت رجولتي يا سيف مادرتش بنفسي غير وأنا بدخلها العربية وبقفلها عليها وبروح بيها لشقتي...ضربتها جامد واتأذت..بس أنا ماكنش قصدي، أنا كنت غضبان ومعمي بغضبي.

قعدت علي الأرض من الصدمة...كأنه مكبوت وماصدق يتكلم وحد يسمعه، أنا كنت متأكد إن في سبب للي حصل، كنت مصدقه لأني عارف انه وقت الغضب مش بيشوف قدامه..قلتله وأنا بفكه:

-ضربتها!! دا أنت دغدغتها وكسرتلها رجلها!

--لأ أنا ضربتها جامد مش هنكر لكن الكسر ده مش بسببي، هي كانت بتحاول تهرب والكرسي الحديد وقع علي رجلها وحاولت اسعفها رفضت..

بعد ما فكيته وبدأ يقوم بتعب وإجهاد وأنا بساعده سألته:

-بس ليه قلعتها هدومها!

بصلي بتبريق كأنه مش متوقع السؤال وبعدين مسك بنطلونه يحاول يلبسه وجاوب وهو بيتفادي النظر ليا وقالي بتلقائية:

-ماكنتش عايزها تمشي، وبعدين هي أول مرة اشوفها كده يعني!

صعقت من الجملة واستحقرتها، بدل ما أنا مشفق عليها وميديها كل الحق بقيت متعصب منها وزعلان علي تهور صاحبي اللي هيوديه في داهية.. ماستفسرتش كتير لكن تخيلت الف فكرة عن الجملة الاخيرة اللي قالها كانوا بيخلوني قرفان منها..

بصتله فجأة وبحسم قلتله، البس هدومك بسرعة وتعالي معايا هوديك شقتي اللي في الشرقية عند أهلي تقعد هناك يومين لحد ما نشوف القضية دي هترسي علي أيه..أنت لو ظهرت دلوقتي يا هيحبسوك..يا هيقتلوك، ولو ماكنش جمال، هيكون أخوها.

أخدته وسافرنا للشرقية بالفعل ووأنا راجع الطريق كلمت مرفت وحكتلها وكانت قرفانة من ملك زيي قالت " أنا برضه ماكنتش بستريح ليها اوي أيام الدراسة، كانت بترسم أنها ملاك ولطيفة بس يعني مافيش بني ادم كده ومابيغلطش كنت حاسه"

اتفقنا إننا هنروح نزورها النهارده نعمل الواجب علشان مانلفتش النظر لينا، ونشوف الاجواء واصلة لحد فين...كان فاضل ساعة

وأوصل وكنت مهلك جداً خلتها تجهز وعديت عليها أخدتها لحد ما دار الحوار ده في المستشفي، ومش فاهم لحد دلوقتي هو بيعمل علشانها كده ليه!؟ جمال لازم يعرف ملك دي علي حقيقتها.

****

"ملك"

جربت تكون في حفلة معظم اللي فيها بتحبهم وحد من اللي بتحبهم يزعلك فيجي حد تاني يزعقله ويطبطب عليك، فتفضل طول الحفلة ملازمه ومش عايز تكون مع حد غيره..حاسس بالأمان طول ما عينك عليه أو هو بقربك، رغم إن في ناس حواليك بتحبهم برضه..لكن هو لوحده عرف أنه يكون حماية ليك!

أنا كنت صاحية وسط أهلي بدور عليه، كنت خايفة منهم يضربوني علشان غلطت، وكنت خايفة علشان كل ما اصحي يجبولي الدكتور تاني ومش عارفة ليه مصممين يئذوني!

كانت ملامحهم بتقولي أنهم خايفين عليا، بس هو برضه لما وقفلي بعربيته وانا دايخة وكان بيسندني قبل ما اغيب عن وعي والاقيني في شقته كان بيقولي بملامحه انه خايف عليا وأنا صدقته..

كانوا عايزين يلمسوني، ولمستهم بتفكرني بإيديه اللي كانت بتكهربني لما بتلمسني، ماكنتش فاهمة ليه محتاجة يكون جمال

موجود بس كنت حاسه انه لو موجود مش هخاف منهم وانا مش عايزة اخاف منهم..

كنت حاضنة دبدوبي وبعيط بصمت وهما قاعدين برا الغرفة، كنت عمالة اتكلم جوايا واجهز كل الكلام اللي مستخبي وعايزة افضفضله بيه لحد ما الباب خبط لقتني تلقائي بفتكر الخبط اللي حاولت اخبطه علشان حد يلحقني وهو قفشني ورمي الكرسي الحديد علي رجلي...انكمشت وأنا بضم دبدوبي اكتر.

دخل بدر ملامحه غضبانة ومعاه أسيا وماما وراهم خايفة، وبابا حزين وبيكلم حد لسه مادخلش "شكراً يا ابني انك جيت بسرعة، تاعبينك معانا"

دخل جمال مبتسم بقلق، أول ما شوفته لقيتني بندفع

-جمال..

كلهم منتظرين هقول حاجة، بس انا مش عارفة المفروض اقول ايه انا بس كنت عايزاه موجود..فرجعت قعدت تاني بعد ما كنت هقوم من مكاني وسكت...

قعد علي الكرسي اللي قصاد السرير وهما واقفين مكانهم وانا مش عايزة ابص لحد أنا مكسوفة وخايفة.

-معني أنك سكتي رغم انك كنتي مصرة أني أجي، يبقي جواكي كلام عايزة تقوليه بس مش عارفة تقوليه ومش مترتب!

بصتلهم هما تلقائي وبصتله بعدها، وكلنا ساكتين، صوت بدر فزعني:

-ما تنطقي يا ملك وتتكلمي، ماحدش فينا عاجبك وخلتينا نجبلك جمال اللي فرجتي المستشفي علينا بيه واول مايجي تسكتي؟

****

"بدر"

كان دمي محروق، اه خايف عليها، وتعبان نفسيًا بسبب اللي هي فيه، هي اختي الصغيرة اللي اتربت في الوقت اللي كنت كبرت فيه ولسه مادوقتش طعم الأبوة، ولما جت عشتها معاها..أنا عارف أني لما اتجوزت انشغلت عنها، ولما جوازتي فشلت وطلقت أني ارجع لحالتي الطبيعية تاني، حياتي بقت عملية خالية من معظم معالم الاجتماعية والأحاسيس، بس مش معني ده إن ماعنديش قلب وإنها أختي واني موجود علشان أحتويها.

حسيت بالغيرة والخنقة عليها ومن جمال..أنا كنت عايز أكون جنبها أو اهديها بس هي أول ما فاقت وشافتنا دخلت في حالة هلع وكل اللي علي لسانها أنها عايزة جمال يجي!

يعني ايه جمال؟ وبيعملها ايه جمال ده علشان تحتاجه وهي وسطنا!

صديقها!! يعني ايه صديق وتبقي خايفة مننا ومش هتطمن الا لو موجود..ده عبط ودلع...وأنا مش قابل الترهات دي ولما يجي وتهدي هطرده من حياتنا علشان الوضع دخل في الاستخفاف برجولتي.

كان جاي ملهوف ومخضوض بطريقة استفذتني وكنت عايز اخنقه زي ما كان هيعمل في سيف من كام ساعة، لكن والدي هدوءه وتقبله للوضع اجبرني اسكت وكنت مستغرب رد فغل والدي الحقيقة.

مجرد ما شوفتها كنت متعصب وعايز اضربها بس كفاية اللي هي فيه، مضطر اتحمل اي وضع لحين إننا نطمن عليها، لما دخل ورانا وهدوءها وسكوتها لما شافته بعد الفرحة الكبيرة اللي نطقت اسمه بيها خلوني واقف دمي محروق، ماقدرتش اتحمل سكوتنا واستخفافها بينا واستغلالها لوضعها الضعيف ففزعت فيها بغضب، بس رد فعلها خلتني اكره نفسي.

كلهم بصولي بعد ما خلصت جملتي ليها بلوم ووالدي قالي "ايه يا بدر اهدي انت مش شايف اللي اختك فيه؟"

كان باصصلي جمال بلوم شديد قبل ما تنطلق ملك في نوبة بكاء هيستيري وتقرب راس الدبدوب من وشها وهي حضناه وتكتم صوت عياطها فيه، قربوا منها كلهم وانا في حالة تخدير وتأنيب ضمير لتسرعي، بيحاولوا يلمسوها أو يبعدوا الدبدوب عنها،

جسمها كانه متخشب وضامة رجولها لصدرها وماسكة في الدبدوب بقبضة قوية وصوت بكاءها مؤذي..

اتكلم جمال بعصبية ولوم احرجوني وعصبوني:

-يعني يا بدر ده ينفع، يا عم تهدي وبعدين أعمل اللي انت عايزه ولا حتي اضربني وهيكون ليك الحق، بس مش دلوقتي علي الاقل!

ماكنتش عايز ارد بس عايز اهرب من الغرفة رغم أني هموت واحضنها بس هي مش هتقبل ده، قلت:

-أنا هروح اجيب الدكتور..

بصوت مهزوز وشهقات متتالية بعدت الدبدوب وتوسلت:

-لا دكتور لا، خلاص مش هطلب جمال تاني بس دكتور لا..هسكت والله هسكت ومش هعيط بس سيبوني وابعدوا عني.

والدي حاول يهديها وهو بيشاور لماما واسيا يسيبوها ويبعدوا عنها وهو قعد علي طرف السرير:

-خلاص يا ماما اهدي، مافيش دكتور أنا موجود ماتخافيش، وجمال هنا وماما واسيا وكلنا جنبك وماحدش هيزعلك، هو بدر مايقصدش هو بس خايف عليكي وعايز يطمن وأنتي مش مديانا فرصة إننا حتي نكون معاكي فعلشان كده اتعصب.

اضاف جمال:

-أنتي يا ملك مش قلتيلي قبل كده أنك بتحبي غيرة بابا وبدر عليكي من اي ولد يقرب منك؟ هو أنتي شايفاني فاظة طيب؟ ما طبيعي يغير عليكي..

استغربت كلامه جداً هي فعلاً ملك قالت كده؟

اللي استغربته اكتر إن ملك وسط هيستريا البكا ضحكت، دموعها مالية وشها وضحكت، بابا مد ايديه ومسح دموعها وهي سمحتله..مادرتش بنفسي غير وأنا بقرب منها وببوس دماغها وبقولها وأنا بقعد جنبها واحاوطها بدراعي والغريب انها سمحتلي بده:

-حقك عليا يا ملك ماكنتش اقصد، بس أنا غيرت..وبصراحة غيرت مرتين، مرة علشان ماكنتش عارف انه فاظة، والمرة التانية عشان الفاظة ده عارف يهديكي عني وممكن اقتله للسبب ده.

ضحكت بس حسيتها بتبعد عن حضني، او مش مرتاحة فيه..اتضايقت بس عذرت وضعها..أنا كمان مش مرتاح فيه، او مستغربه ومحرج منه، أنا عمري ما حضنت ملك من بعد ما كبرت رغم أنها اختي وعادي بس كنت دايما بحس إن مافيش حاجة تستدعي ده وإن ده عيب..بس اول مرة ابقي زعلان أني مش عارف اعمل ده حقيقي..

رجعت حضنت دبدوبها تاني وانا سيبتها وقمت قعدت جنب ماما وهي ساكتة، بابا اتكلم:

-كنتي عايزة جمال يجي اهو يا ملك جه، مش عايزة تقولي حاجة؟ ولا عايزانا نخرج علشان تقوليهاله؟

بصتله ملك بحرج ورجعت بصت لدبدوبها تاني وسكتت، كان جمال باين أنه متوتر ومحرج وفي مأزق، والدي قال أننا نقوم نقعد برا بس قبل ما يكمل كلامه ملك دموعها نزلت واتكلمت وكلنا انتبهنا ليها:

-أنا لما كنت ببقي لواحدي في مأزق ومش عارفة اتصرف كنت مش بعرف الجأ ليكم فكنت بغلط وأنا لواحدي وأوقات كتير بتأذي، كنت بخاف منكم اوقات كتير علشان ما عودتونيش إن الغلط بيعلم، عودتوني إن الغلط يعني عقاب شديد..لحد ما جمال جه وبقينا اصحاب وهو اللي كنت بلجأله ويساعدني

لما كنت ببقي خايفة كان بيعرف يلاقي حل يطمني بيه حتي لو نقرأ قرأن وندعي دعاء..ولما كنت في المشكلة دي وماكنتش عارفة أنا هعيش ولا لا، لما جتلي الفرصة الجأ لحد لجأتله وانا خايفة انه مايتصرفش رغم ثقتي الكبيرة فيه، ماكنتش مصدقة أنه هينقذني فعلا وأنه قدامي في اليوم اللي ماحدش فعلا كان هينفعني فيه..

لذلك غصب عني بطمن لما بيكون موجود، وبعرف اتصرف بمشورته..الناس كلها اذتني حتي الشخص الوحيد اللي حبيته وأمنتله وجمال الوحيد اللي ما أذانيش، لذلك لما حسيت اني خايفة منكم كنت عايزاه يكون موجود.."

كلامها وجعني..وجعنا كلنا وده بان من ملامحهم كلهم..حتي جمال اللي كان واضح أنه كان عارف الكلام ده من عينيه اللي بتبصلي من وقت للتاني بحرج واعتذار كأنه بيحاول يقدملي دليل انه مش مذنب ولا مؤذي..

سألتها بسرعة:

-ليه كنتي خايفة مننا يا ملك؟

رجعت شهقاتها وبكاءها زاد واتكلمت بندم:

-علشان خفت تضربوني او ماعرفش أواجهكم بسبب اللي عملته، أنا عارفة إني غلطت وماكنش ينفع أحب حد ولا ارتبط بحد من وراكم بس أنا والله كان غصب عني، هو دخل حياتي في الوقت اللي كنت محتاجة فعلاً حد في حياتي والحد ده أكيد مش جمال لأنه صديقي وأخويا..

سكتنا كلنا بس بابا ربت علي ايديها وقالها بهدوء:

-طيب أهدي يا ملك، مافيش حد هنا يقدر يضربك وأنا موجود، واللي بتقوليه ده كله يدل أني عرفت اربيكي وأنك عارفة لسه فين الصح والغلط ومدركة أنك غلطتي وكفاية ده عندي، أنتي اخدتي عقابك واتبهدلتي بسبب اختيارك السيء والغلط الأكبر هنا بعيد عن غلطك في حقنا، هو اختيارك السيء..بس أنتي خلاص عرفتي وفهمتي أزاي تختاري صح..

ولما تحتاجي حد يحميكي يا ملك مهما حصل إحنا أهلك، يمكن قصرنا في حقك شوية، بس ده مش معناه اننا هندبحك وقت غلطك واظن أنه واضح قدامك اهو..إحنا هنقف جنبك ونسمعك ونحتويكي ونعلمك ازاي تتخطي ده، فماينفعش نكون موجودين وتلجأي لحد..اه طبعا اختيارك للشخص واضح أنه صح جدا وإنه اهل للثقة، بس في حاجات لازم الأهل هما يكونوا السند فيها"

هديت ملك وقعدنا كلنا نضحك وفجأة حسيت اني شردت عنهم، القعدة دي كانت رسالة ليا لحاجات كتير أوي، وأهمهم أني محتاج اعيد حساباتي مع أهلي ومع طليقتي بالفعل...

دخل الدكتور واول ما ملك شافته خافت، الدكتور قالها قبل ما تتكلم:

-لا انا مش جاي اديكي حقنة ماتخافيش، بس عارف ان اللي جاي اقوله ده هيكرهك فيا أكتر فأنا اسف..في ضابط برا ومحتاج يسمع منك اللي حصل.

8

"جمال"

موقفي كان لا يحسد عليه أحد وسط اسرتها، مش عارف اتصرف ومش عارف أجري..ولا عارف احتويها ازاي!

كان باين عليها خايفة جداً وجواها كلام كتير بس مش عارفة تقوله، وكان باين إنها محرجة..بفهم ده من نظرتها اللي بتكون في الأرض وضمة اكتافها وصمتها وهي كانت كده معظم الوقت، لما انفجرت بسبب بدر أنا كنت حاسس..حاسس..

هي مش لاقي لها كلام تاني غير حاسس ومش عارف أقول أنا حاسس أيه؟

أنا مش عارف ليه حالي متشقلب ومش فاهم نفسي وأول مرة اكون كده! أنا اول مرة اكون خايف علي حد كده ومهتم لأمره حتي هي..لما كانت بتكلمني تصحيني من نومي وتسكت ماتتكلمش ببقي عارف إن ده هدوء ما قبل الانفجار، كنت بتهيأ للي جاي وبقوم أقعد علي سريري وبهدوء اسألها "مالك" وأنا عارف إن اللي هيجاوبني مكانها بكاء هيستيري وشهقات متتالية بتحاول تداريها في دبدوبها، كنت بهديها واقولها أني موجود وأني معاها..كنت ببقي خايف عليها وقلقان عايز افهم في ايه؟ وزعلان علشان حالتها..بس مش للدرجة اللي انا فيها حالياً..مش لدرجة اني عايز أخدها واجري..

بعد ما كانت بتهدي وتخلص عياط واضحكها بتخرج من الطفلة اللي جواها الامرأة التلاتينية المأذية تحكيلي عن حالها...كنت بسمعلها وعارف إن الشخصية دي منها مش جاية غير علشان تشكي همها وتمشي، علشان كده لما كانت تخلص كلام خالص كنت ببدأ اناقش ملك العشرينية صديقتي العاقلة وكل اللي عندها نحله ونفهم مع بعض المفروض نحل اي حاجة مضايقاها أزاي..

بس دلوقتي أنا شايفها..حاسس بكل كلمة خارجة منها ومتفاعل معاها..متأثر لملامحها ورجفة ايدها ونبرتها المهزوزة الخارجة تقاوم خنقة حابسة الكلام جوا حلقها..

خوفها من الدكتور وكلامه وصلي من نظرة استنجادها بيا اول ما طلب مننا كلنا نخرج ونسيبها علشان هيحققوا معاها، ماكنتش عايز اسيبها بس كان لازم..وهما خارجين وأنا وراهم استأذنتهم اقولها حاجة ثانية بس وجاي، قربت منها وميلت علي ودانها وقلتلها:

-ماتخافيش انا معاكي..حتي لو كلنا برا بس أنا موجود..اتكلمي وخرجي كل اللي حصل بصدق يا ملك، ماتخبيش حاجة من خوفك منه هو مش هيئذيكي تاني خلاص.

بصت في عينيا لما بعدت عنها قلبي دق!

خرجت بسرعة من الغرفة وأنا خايف...أنا قلبي دق كده ليه! ده مش خوف ده حاجة تانية..

وقفنا برا وملك جوا بتعيش لحظات أنا متخيل قسوتها، كانت قالتلي قبل كده إن أقسي لحظات بتعيشها هي لحظات حكي أي حاجة سيئة عاشتها..لأنها شخص تفاصيلي جداً وأي حاجة بتفتكرها بالمشاهد والأصوات..حتي الاحاسيس واللمسات، ومش بيكون مجرد حكي، فبدل ما تعيش الموقف مرة..بتعيشه ألف مرة.

فجأة سمعت صوت، التفت بسرعة نبرة كأنها السوط اللي كربجني علشان يفوقني..

-إكرام!!

هي فعلاً واقفة مع والدة ملك وأختها، خلصت معاهم وجت وقفت قدامي...أكيد لو بتعاندني مش هتلبس البنطلون ده تاني بعد ما اتخانقنا عليه الاف المرات.

-ازيك يا جمال.

ما بصتلهاش:

--الحمد لله، وأنتي؟

-أنا بخير..كنت جاية اطمن علي ملك لما عرفت من أسيا إنها فاقت ماكنتش أعرف انك هنا.

مش عارف ليه حسيت اني عايز اضايقها بسبب تصرفاتها الاخيرة فقلت ببرود:

-أنا طول الوقت هنا.

سكتت فبصتلها، عينيها بتقول كلام زعلان بس ليه ماحستش لما بصيت في عينيها إن قلبي دق!

عقلي كان هيتجنن وفضلت باصص في عينيها عايز احس حاجة..مش قادر..

-جمال أنا اسفة.

--اسفة! ده ليه؟

عيونها لمعت فيها دموع وقالت بصوت مهزوز وهي بتبص تجاه باب غرفة ملك ورجعت بصت قدامها وقالت:

-مش عارفة..حسيت اني محتاجة اقولك كده، انا عايزة اقولك حاجة بس تسمعني من غير ما تقاطعني ممكن!

قلقت، إكرام مخبية حاجة!

سألتها دموعها هربت فمسحتها بسرعة وتجاهلت سؤالي وقالت اللي هي عايزة تقوله:

-أنا عمري ما أذيتك يا جمال ولا فكرت ولا هفكر..حبيتك بجد، رغم كل المشاكل اللي حصلت بينا فضلت احبك، رغم اهمالك اوقات كتير فضلت أحبك، وحتي وأنا حاسه إن في حد في حياتك اهم مني برضه فضلت أحبك..ماتزعلش مني مهما حصل، أنا

عمري ما فكرت أزعلك ومش بحب زعلك مني..ولو حصل وزعلت بتكون حاجة عملتها من غير قصد...ممكن نرجع تاني؟

ماكنتش فاهم كلامها ده ليه؟ يمكن علشان قرارها المستعجل بإننا نمشي من حياة بعض، رديت عليها علشان اطمنها:

-بس أحنا مامشيناش علشان تقولي كده!

قبل ما أكمل كلامي معاها الباب اتفتح قلتلها بسرعة في محاولة مني لقفل الكلام:

-لينا كلام تاني يا إكرام، بس لحد الوقت ده ياريت نهدي علي بعض ونبطل نضغط بعض أكتر أنتي شايفة الظروف ماشية ازاي.

لاحظت غضبها وردها وعدم تقديرها للوقت والمكان عصبوني وخلوني سيبتها ومشيت:

-هو ايه الظروف ! انا مالي ومال ظروف ملك، هي ملك من باقي عيلتك علشان تكون حاطط نفسك جزء من ظروفها! انا مابقتش فاهمة حاجة.

"حقيقي يا إكرام مستغربك، أنتي ازاي كده؟ أو ازاي بقيتي كده؟ دي كانت بتحكيلك وانا لا؟ كانت بتشتكيلك وبتسمعي ليها!"

كنت بكل غل بكلمها جوايا وأنا سايبها ورايا ورايح تجاه غرفة ملك اللي خارج منها اتنين ضباط، ماهمنيش وقتها غير اني ادخل اشوف حالتها فسبتهم برا متلهيين مع الضباط ودخلتلها من غير ما يلاحظني حد غير عيون إكرام اللي مرقباني من بعيد..

كانت متوترة بس هادية، مسحت دموع باقية علي خدها وقالتلي وأنا بقعد قدامها علي الكرسي:

-عارف! لما كان بيضربني كنت بقوله وسط صريخي..أنا ملك يا ريان، انت شايفني طيب؟ أنا ملك والله انت ليه بتعمل كده؟

بس هو ماكنش سامعني، كنت رغم اللي بيعمله فيا ده بدورله علي عذر وفضلت اقول لنفسي أنه لما بيغضب بيتعمي، أنت متخيل؟

شتمته في سري ولعنت سيف الف مرة أنه مادانيش الفرصة أفكر واتصرف من دماغه، سألتها:

-إنچي اللي ساعدته صح؟

سكتت وفكرت شوية وبعدين هزت دماغها بعفوية وقالتلي:

-لأ هي مالهاش علاقة..

--طيب مش هتقوليلي كنتي رايحة تقابليها تديها إيه؟

اتنهدت:

-انا بلغت المباحث بالسبب بالعافية واضطريت علشان ده مأزق هتتحط فيه ظلم فكان لازم اقول لكن انت واي حد تاني مش هقوله.

زفرت بيأس..عنيدة مهما كانت حالتك يا ملك، رجعت بصتلها وابتسمت وقلتلها:

-طيب خلاص انا ما اتعودتش أضغط عليكي بس ممكن اعرف منك ايه حصل بالظبط؟

عينيها التقت بعيني تاني قلبي ارتجف، انا ايه بيحصلي؟

اتوترت وزاد توتري لما نظرتها حادت عني وبصت لحاجة ورايا، التفت لقيتها إكرام واقفة عند الباب وبصالنا وعينيها فيها دموع، قمت وقفت وأنا غضبان من نفسي ومنها ومن الوضع اللي داير جوايا ومش عارف افهمه...

اتقدمت خطوتين وقالت لملك بصوت بيقاوم البكا:

-حمدالله علي سلامتك يا ملك.

ملك مرتبكة، حزينة، مقهورة..عينيها قالتلي كده وهي بتبصلي قبل ماتبص لإكرام وتبتسملها إبتسامة ليها معني، ضغطت بقبضتها اليمين علي إيد دبدوبها اللي محطوط جنبها في سلام وهدوء تام..هي مابتعملش كده غير لما تكون بتقاوم احساس القهر اللي بينبض جواها، بس هي ليه حاسة كده من مجرد رويتها لإكرام؟

-الله يسلمك يا إكرام..

--ربنا يفك الكرب ويبعد عنك الشر يا ملك..ويقرب منك المريح ليكي واللي يستاهلك.

قالتها وبصتلي وشكرتها ملك وهي بتضغط علي ايد الدبدوب أكتر وانا عينيا بتنتقل بين الاتنين في صمت.

سابتنا وخرجت إكرام، ودخل بعدها بدر وهو سعيد وبيقول:

-هنروح البيت خلاص يا ملك مافيش دكتور تاني.

ملك فرحت جداً، وأنا فرحت أنها هترتاح من المستشفي وتوترها، لكن حاجة جوايا اتخنقت واتضايقت علشان مش هعرف اشوفها تاني.

سيبتهم ومشيت بعد ما ركبوا عربيتهم ومشيوا روحوا بيتهم، وروحت ارتاح..مش في البيت لأ..

أرتاح في إني أطلع اصفي حساباتي مع سيف..

لما روحتله البيت اخوه قالي مش موجود! اومال فين؟

راح لأهله الشرقية..غريب امره! من أمتي وهو بيروح الشرقية كده من غير ما يقول او ليه أصلاً وهو عنده شغل، إلا إذا كان في أمر طارئ وهيروح ويرجع نفس اليوم!

عزمت الأمر وقولت هروحله يمكن والده مريض او والدته ومحتاج مساعدة، قررت اطلع البيت اغير هدومي واركب واروحله ونبقي نصفي حساباتنا بعدين.

****

"بدر"

بعد ما روحنا ونامت ملك طلعت شقتي اللي وحشني ونس طليقتي فيها، يمكن كان بينا مشاكل كتير بس الحياة من غيرها جافة...كنت متسرع في قراري رغم أني كنت محتاجها..

كان لازم أفكر أكتر او احط نفسي مكانها ولو مرة واحدة علي الأقل، بس كل مرة كنت بشوف من جهتي انا وبس...طول السنة ونص وهي بعيدة عني مالاحظتش ده، لحد ما جه موقف ملك في المستشفي النهاردة وخلاني أعيد النظر فيا قبل ما اعيد النظر في كل حاجة حواليا واكتشفت فعلاً أني اتسرعت، وأني غلطت كتير في حق فاتن..

اتصلت بيها وأنا مش عارف اقولها ايه؟ هي دلوقتي اشتغلت وحققت ذاتها واتغيرت..أكيد كرهتني وعمرها ما هتسامحني ولا هتوافق بالرجوع لو كان عندي رغبة في ده..بس أنا فعلاً عندي رغبة الرجوع من وقت ما سيبنا بعض ولكن كبريائي كان بيسيطر عليا...

صوتها الناعم وصلني قلبي دق:

-الو مين؟

--مسحتي رقمي ولا بتبينيلي انك نسياني؟

سمعت صمت وصوت انفاسها اللي علي لوحده اللي وصلني، أكيد غضبانة، اضفت:

-سكتي يبقي عرفتي صوتي.

--عايز أيه يا بدر؟

-نرجع.

ضحكتها وجعتني وحسستني بالندم اني اتصلت، قالت:
-ترجع؟ أنت شارب حاجة؟

--شربت من كاس مر فوقني لنفسي وعرفني اني ضيعتك من ايدي، سامحيني يا فاتن ونرجع، والله ما همنعك من شغلك، أنا راجع وانت بشخصيتك الجديدة اللي تحبيها وعايزك كده، ناجحة وفخورة بنفسك وهكون معاكي وفخور بيكي.

-لا والله! وده من أمتي إن شاء الله!
أنت مفكر اني هصدقك؟ تبقي بتحلم..وبعدين أنت مش قلت أنك مش هينفع تخلي واحدة علي زمتك الرجالة بتتفحصها كل يوم بعينيها! راجعلي ليه تاني؟

ندم، ندم..ندم اليوم كله بأحداثه مصر يندمني، جاوبت بسرعة:
-كلام وقت غضب والله أنا عمري ما كنت اقصد كده، انا بس كنت غيران.

--بدر بقولك أيه..اختصار الكلام علشان مش فايقة للكلام ده وعندي شغل، اللي في دماغك ده روح اشربله سجارتين هتنساه علشان ده عبط.

ماكنتش عارف اقول ايه بس بعمري ده وملامح التلاتين كنت عايز ابكي واتشعبط فيها علشان ماتمشيش..ندهتلها:

-فاتن...

سكتت...لا هي ما سكتتش هي قفلت في وشي السكة ورجعتني للمراهقة تاني، فتحت صور فرحنا علي موبايلي ودموعي شاركتني حزني علي بعدها..

******

"سيف"

كنت قاعد جنب ريان بعمله كمدات، لما أمي كلمتني وقالت صاحبك مريض وسخن ومافيش حاجة بتثبت في معدته ومش عارفين نتصرف معاه جريت ورحتله، أخدت ادوية من الصيدلية وروحتله...منهم لله هما السبب في اللي هو فيه دلوقتي، بقيت باصصله وزعلان علي حاله..بصلي بوهن وضعف وقالي:

-شكراً يا سيف أنك ماسبتنيش وبتساعدني..مش زي جمال..أنا بعز جمال جداً بس مش عارف ليه بيكرهني كده!

--ماتقولش كده ياعم أنت أخويا في أيه! جمال تقريباً كده بيحب ملك علشان كده بيتصرف من غير ما يفكر.

سألني بعنف:

-هو اللي قالك أنه بيحبها؟

--لا لا...ده تخمين مني، بس مش فاهم ازاي مشاعره رايحة تجاه ملك وده واضح جداً، ومرتبط بإكرام وتاعبها معاه رغم انها بتحبه جداً..لما كانت بتكلمني وتقولي أنها خايفة انك تقول لجمال إن هي قالتلك مكان ملك قطعت قلبي والله بعيطها وخنقتها من تصرفاته..صعبانة عليا اوي.

بصلي بصة طويلة كأنه شرد وبعدين بص للسقف وأنا بعمله الكمادات وقالي:

-غلبانة..وقعت في حد مايستاهلهاش، خاين بيحب صاحبتها..أنا أصلاً معظم مشاكلي مع ملك كانت بسببه، قال أيه صاحبي صاحبي، مقضينها مكالمات، وصور وهزار وضحك وحاجة قلة أدب ولا كأني موجود ولما اعترض تقولي انت مقفل..وياريتها جت علي جمال، دي كانت بتعمل كده مع نص شباب الجامعة علشان كده سيبنا بعض...

كنت كل ما يحكيلي عنها بقرف منها اكتر بس استغربت فسألته:

-بس انت رغم ده رجعت تصالحها ليه؟

سكت ورجع قالي:

-علشان بحبها..وكان عندي نية اتنازل زي ما كل مرة بتنازل.

سكت دقيقة وقالي:

-هو انت ممكن تجبلي تليفون وخط!

عايزهم..هعمل اكونت مزيف واقعد علي النت بدل ملل الوحدة اللي هنا، انت كلها ساعات وتسيبني لحيطان الشقة وانا من الخنقة ممكن اخبط دماغي في اي حيط...لو مش هتقل عليك يعني.

وافقته وقلتله أني هعمل كده وسيبته وغبت عنه نص ساعة جبتله خط جديد وتليفوني القديم وشوية مستلزمات هيحتاجها وقعدنا نتكلم شوية الهيه عن التعب...سمعنا جرس باب البيت بيرن، اتخض من الصوت فهديته وسكتنا نشوف لما يفتحوا الباب تحت هيطلع مين، والدتي ندهتلي:

-يا سيف..تعالي كلم صاحبك.

******

"ملك"

صحيت من نومي علي كابوس جديد، كابوس مابينتهيش بأني لسه عايشة، فتحت عينيا وفضلت باصة للفراغ وفاردة جسمي وبتنفس بسرعة، ضلمة! ضلمة تاني! ضلمة لا...

سمعت صوت حركة جاية من برا الغرفة مش عارفة ازاي حسيت اني لسه محبوسة في شقته وأنه داخل تاني وهيلمسني بقذارة ويضربني، اتحركت عايزة استخبي لقيتني مش متقيدة، قمت من مكاني بسرعة جسمي تعبان من اثر الضرب ومش بعرف امشي من غير عكاز بسبب رجلي فوقعت في اللحظة اللي دخلت فيها أسيا الغرفة فصرخت من الخضة وخبيت عينيا بأيدي بحركة لاإرادية وضميت رجولي لصدري وأنا نايمة علي جنبي في الارض زي ما كان بيحصل لما كل يوم يدخلي..

جريت عليا وحاولت تهديني بصوتها:

- ده انا ما تخافيش، انا أسيا..

شغلت الاضاءة وجت قعدت جنبي وافتكرت كلام الدكتور لما قالها ماتقربش مني إلا لما اديها إشارة بده تقريباً لأنها قعدت جنبي بس مالمستنيش وفضلت تهديني بصوتها، بعدت أيدي عن عيوني وبصتلها وأنا بلهث قربت مني أيديها فرخيت جسمي ومدتلها أيديا، جت وحضنتني وربتت علي ضهري:

-ما تسيبينيش في الضلمة تاني يا اسيا...ماتسيبينيش لواحدي ونامي معايا كل يوم.

--بس أنتي مش بتحبي تنامي في أي نور، وكمان مش بتحبي حد ينام جنبك!

-لا مش هعمل كده تاني.

--طيب خلاص يلا فوقي وتعالي جهزتلك الحمام هتاخدي شاور ريحتك بقت معفنه يااي.

كنت عارفة انها بتحاول تضحكني فاضحكت مجاملة ليها، خرجت من حضنها وفكرت..انا فعلاً محتاجة شاور هي عندها حق، ريحتي بقت معفنة!

ضحكت المرة دي بجد وشاورتلها وهي خارجة من الغرفة وسايباني علي الارض:

-أيه يا اعمي! مش شايف رجلي طيب؟

ضحكت ورجعتلي وانا فاتحالها درعاتي علشان تقومني

-شيليني هيلة هوب.

وقفت وحطت ايديها في وسطها:

-ااه، بدانا نتدلع...لا يا ماما مش أنا اللي تضحكي عليا وتستعطفيني لا..

اصطنعت الحزن

-أنتي هتعيطي! لا خلاص خلاص اشيلك هيلا هوب ياستي يا سلام.

ضحكنا ووصلتني للحمام، كانت عايزة تدخل معايا بحجة أنها تساعدني بس أنا هزقتها وقفلت الباب ورايا، بعد دقيقة خبطت

-نعم..

--أنا قلت بس لو محتاجة مساعدة اجي اساعد!

مسكت الفوطة وفتحت الباب فجأة ورميتها في وشها وقفلت بسرعة وضحكنا...أنا مش مصدقة أني عايشة.

روحت للمراية بتسند علي العكاز وبصيت فيها، أنا كنت بحب شعري الطويل، كنت بحب ملامحي اللي متشوهة دلوقتي ودبلانة، أنا عارفة انها هترجع مع الوقت، بس أنا من المؤكد مش هرجع تاني، الطفلة اللي جوايا ماتت بسببه، كل حاجة حلوة جوايا سرقها مني.

قلعت تيشرت البجامة ولمست رقبتي وجسمي بحذر مش قادرة المسهم بيئلموني، كدمات كتير مع كل لمسة لكل واحدة فيهم بفتكر ذكراها...بعدت بسرعة عن المراية أنا مش عايزة افتكر.

أخدت شاور وطولت فيه لدرجة أنهم فكروا حصلي حاجة وخبطوا عليا اكتر من مرة يتأكدوا اني كويسة، بعد ما خرجت من الحمام

لقيت ماما منتظراني برا بكوباية ليمون بالنعناع سخنة، قعدت واخدتها منها وشربتها علشان نبرة صوتي اللي بتعافر تطلع ترجع تاني..ماما بصالي بترقب وابتسمت بحزن، سألتها:

-بتبصيلي كده ليه؟

هزت دماغها وبصت تجاه التلفزيون كأن مافيش في بالها حاجة بس تقريبا ما قدرتش تقاوم فبصتلي تاني وقالتلي:

-بصراحة...مش متخيلة كرم ربنا وترتيباته اللي انقذك بيها، لحد الأن مش مصدقة السبب اللي خلي الحيوان ده ما يعملش اللي كان ناوي عليه.

رغم وجعي من الكلام وإنها اعادتلي أحاسيس الرعب والتعب والزل اللي عشتهم إلا أن أنا شخصياً مش مصدقة لحد دلوقتي أزاي تراتيب ربنا بالدقة دي؟

9

"جمال"

بعد ما لبست هدومي وبجهز علشان أروح لسيف لقيت مسدچ وصلتني علي واتساب من إكرام، شوفتها من برا بس مش كاملة، جالي فضول أعرف باقي الرسالة ففتحتها

"سمعت منك ليها نبرة حنية وشوفت في عينك اهتمام وخوف عليها مفتقداهم..كنت جاية اقولك نرجع بس أنت لازم اللي تراجع نفسك وترجعلها..حياتنا بملك مش كاملة يا جمال"

كتبتلها بعصبية وأنا حيران ومشتت من كلامها، أنا مش بحب ملك انا بحبها هي..ليه مش قادرة تفهم ده؟

"انا تعبت يا إكرام، نفسي تفهمي بقي أن ملك أختي وصديقتي وبس وإن اللي في عقلك مجرد غيرة وأوهام، اعقلي بقي وساعديني نكون جنبها في محنتها مش تظني كده"

قرأت ما ردتش، وفضلت أبعتلها وما تردش، اتصلت عليها..مرتين رن بدون إجابة وفي التالتة سمعت صوت أنفاسها السريع اللي عارف أنه بسبب بكا، اتنهدت وقعدت علي الكنبة وبكده طارت زيارة سيف، شكل المكالمة مطولة..

فكيت زراير القميص وقلعته، محتاج اتنفس

-طيب ممكن تهدي؟

لو سمحتي يا إكرام أهدي..

بصوتها الباكي:

-حتي مابقتش تعرف تهديني زي زمان.

صحت فيها بكل ضغطي المتراكم:

-خلاص يا إكرام، انا الوحش، انا السيئ، أنا اللي بغلط..ما أنا طول الوقت بسمعك، بحل ليكي مشاكلك، بساعدك وأهديكي وانيمك مرتاحة..أنتي اللي عمرك ولا مرة هدتيني وكل مرة بتتعبيني، زعلانة علشان برتاح مع ملك؟

طيب ماسألتيش نفسك ليه؟ ما فكرتيش للحظة ملك عملت أيه بيخليني الجألها وأنتي لا؟

أنا اقولك ليه! لأنك مش هتقدري تواجهي نفسك انك بني ادم وبيغلط او بيقصر، كتير احتاجتك ومالقتكيش ولقيت معاكي الضغط وعدم التقدير، هي كانت بتسمع وتهدي وتفكر وتشاركني وكأن المشكلة مشكلتنا سوا مش مشكلتي أنا...تفتكري كنت بفرح بعد ما هي اللي بتهديني؟

لا يا هانم كنت بتخنق لما كنت بجيلك علشان اسمع كلمة حلوة تطايب خاطري وتمنعيها عني او تقابليها ببرود...أو ما تكونيش فضيالي وفاضية للاسكين كير بتاعك أنتي واصحابك، طيب وأنا!

أنا اللي لازم اتحمل واسكت وأنتي؟ أنتي الملاك..تعبتيني في حبك.

بتبكي وتتكلم بحرقة:

-ما انت بقيت كمان تهملني، ما ركزتش في ده برضه زي ما بتركز في حقوقك؟ مانا كنت طول الوقت بديلك مشاعر مشاعر ما سألتش نفسك انا ليه مابقتش أعمل كده؟

قاطعتها ودمي بيغلي في عروقي:

-علشان أنتي مش بتعرفي توظفي مشاعرك ولا ترتبي حياتك، الاول كنتي طول الوقت بحبك وحشتني ومشاعر وكلام حب ليل نهار..لما كنت احتاجك تشاركيني في نقاش جاد او تشجعيني علي حاجة معينة كنتي بتقابلي حديثي بتفاهة أو بتحوليه لأي كلام تاني وترجعي للمشاعر والكلام ده، قلتلك الاف المرات المشاعر ليها معادها، الكلام الجد ليه معاده، والهزار والتفاهة ليهم معادهم...كنت بفهمك أنك تعرفي امتي تعبري علي مشاعرك وامتي لا تقومي تمنعيهم عني؟

هو ده حلك يعني؟ ده اللي فهمتيه من كلامي؟ طيب يا ستي شكرا مابقتش مستنيها منك أصلاً.

--بحبك والله يا جمال.

-اهو ده اللي أنتي فالحة فيه، تتزنقي في الكلام تقولي بحبك، عايزة تخرجيني من نقاش جاد تقوليلي بحبك علشان اتفصل وماكملش

كلام...عمرك مافهمتيني يا إكرام ولا قدرتي احتياجاتي زي ماكنت بقدرك...انا مابطلتش اهتم الا لما أنتي اللي حولتيني لمسخ ناحيتك..أنا غلطت في حاجات كتير تجاهك، بس كلها مشاكل عادية أنتي ضخمتيها، وصلتيني اني ابقي عارف انك مليانة كلام وعايزة تتكلمي ومش قادر اسمعلك..وكمان بلوم نفسي علي حاجة مش بأيدي وهي أني مش بريحك ولا بسمعك.

بتبكي وأنا مش قادر اتحرك من جوايا، لأول مرة اعرف أني جوايا كل ده تجاهها وساكت..حسيت للحظات أن كل اللي بقوله تخطي حجم حبي ليها، كأني لأول مرة بواجه نفسي بالحقيقة وعقلي بيسوقني ليها، بكل جمود واصرار قلتلها:

-أنتي صح يا إكرام، إحنا لازم ننفصل..علاقة ناجحة يعني راحة وتوافق ومشاركة...وإحنا مش التلاتة في حياة بعض...أمشي من حياتي وأبعدي علشان انا تعبت.

قفلت في وشها السكة وأنا كلي غضب، ندمان أني قسيت عليها بس هي اللي وصلتني لهنا، غيرت هدومي وطلعت علي السطح في الهوا، حسيت أني محتاج أتكلم، أفضفض وارتاح...

كلمت ملك وردت بسرعة فرحت:

-قلقتك؟

--مال صوتك؟ في ايه احكيلي.

ابتسمت، بتعرف تفهمني من نبرة صوتي مهما حاولت أخفيها:

-مرهق بس شوية لكن بخير لا تقلقي المهم بتعملي ايه كده؟

بتعرف تكون ام حتي في ظل ضعفها:

-تصدق بالله! أنا يدخل عليا كدبة أنك أكلت فسيخ، علي إني أصدق أن صوتك ده ارهاق مش خنقة وغضب وهم كبير...قول مالك.

ضحكت وقلتلها:

-والله أنا ما شوفتش زيك، يعني أنتي فيكي أيه وحياتك ماشية أزاي وتقوليلي احكي وفضفض، يا بنتي أنتي في أيه ولا أيه؟

اتكلمت بحنية وقالتلي:

-وأنا ما اشتكتش، وبعدين تيجي ايه مشاكلك يا مفعوص أنت جنب مشاكلي، احكي يا عم احكي أنا حابه اسمعك.

حكيتلها جزء كبير من الحكاية وخفيت الجزء اللي يخصها بس هي مش غبية علشان ماتفهمش وده بان من نبرتها اللي اتغيرت واتخنقت:

-مش هقولك ماتضايقش، ده حقك...وحقها برضه أنك تحطلها اعذار، كل اتنين مرتبطين وبينهم مشاكل يا جمال، وأنت بتحبها وهي بتحبك، ماينفعش علشان مشكلة كبيرة أو توتر كبير تقرروا

الإنفصال بالشكل ده، ولا تنفذوه بالقسوة دي...ممكن تاخدوا هدنة من بعض فترة وترجعوا تتصافوا تاني.

--بس انا مابقتش قادر احبها..

سكتنا، سألت:

-مش قادر ولا مش بتحبها؟

--مش عارف يا ملك، بس الحب مش حاجة قصاد تعبي وعدم راحتي، الحب مش هو اللي هيهديني او يشاركني في حل مشكلة ولا في موضوع مهم بتكلم فيه، مش الحب اللي هيطبطب عليا لما أنهار وقت ضعف، ومش الحب هو اللي هيشيلني لما امرض..أنتي متخيلة انها بتزعل لما بمرض اني مش بكلمها مثلاً!

أنا مابقتش عايز الحب، ومش عايزها...اللي محتاجه مش مع إكرام يا ملك.

سألتني:

-محتاج أيه يا جمال طيب؟

كنت بدور علي إجابة، عايز أقولها محتاج واحدة تفهمني ومااضطرش اشرح كتير وبرضه ماتستوعبش

محتاج الاقي الراحة في الكلام والهزار والنقاش حتي الخناق..مش عايز واحدة نتسابق علشان نجرح في بعض.

عايز واحدة تكون عارفة امتي تحتويني بأمومتها وأمتي تكون طفلة، وامتي تكون أنثي دلوعة..وتبقي قادرة تكون شخص عاقل في وقت المشاكل ووقت الجد والشغل..

واحدة لما احتاج اتكلم بعمق تدخل معايا في المود، محتاج حاجات كتير أوي كل ما حاجة فيهم تيجي في تفكيري وأبقي هقولها أفتكر مواقف لملك كانت فيها ليا الحاجة دي فقلبي يدق..

وصلت في الأخر لنظرة عنيها اللي خلت قلبي دق وقمت وقفت مكاني فجأة وأنا مشوش ومتوتر لأني وصلت في النهاية أني عرفت أنا عايز أيه وأني طول السنين اللي فاتت دي كنت غبي.

****

"ملك"

لما حكالي وسألته هو محتاج أيه وسكتنا، افتكرت لما جاتلي إكرام المستشفي الصبح ، افتكرت شعوري بالقهر من إني رجعت للواقع تاني اللي أدركت فيه إن جمال شيء مايخصنيش، وفي في حياته واحدة تانية...كانت واقفة قدامي وعايزة أبكي..لما بشوفها وبكلمها مابطلش أتخيل وهي سعيدة بدبلته في أيديها واتعب نفسياً من الفكرة..

افتكرت لما حكالي جمال في مرة عن خلافاتهم وفهمت إن إكرام بدأت تغير مني..وقتها كان شعوري تجاه جمال اكتشفته وعلشان

عارفة انه مستحيل كنت بحاول أبعدني عنه بأي شكل..وللحظ السئ وقعت في طريق ريان..

رسملي الحياة الوردي والحب الي لمس اني محتاجاه..هو فهم إني محتاجة حنية واحتواء أكتر من حب ومشاعر فانهال عليا بيهم، كانت فرصة مناسبة أقدر أبعد نفسي عن مشاعري بجمال اللي اقنعت نفسي بإنها وهم وقتها..

وكنت بثبت لنفسي انه مش ليا وأنه بيحب واحدة تانية ولو في امل كان مش هيرتبط بإكرام وكان هيعمل أي حاجة علشان يحولني لحبيبة مش مجرد اخت وصديقة..

كانت فرصة ممتازة للهروب من جمال، وكمان من إبعاد الغيرة والخوف من قلب إكرام. لذلك قربت منها وحكتلها عن علاقتي بريان وطلبت منها ماتحكيش لجمال، علشان أوضحلها إن أهو...جمال سهل مايكونش عارف حاجات عني...

ماكنتش عارفة أن هروبي هيوقعني في فخ يدمرني، شهر والتاني وبدأت مرحلة الأذية والتمثيلية اللي عيشني فيها ريان خلصت وبدأت المعاناة، إهانة وخناق كل ساعة علي حاجات غريبة بيخترعها في دماغه، او حاجات عادية وتتحول مشكلة كبيرة..

زعله كان مؤذي، خصام بالساعات والأيام ومعاملة جافة وفيها تأنيب، كان عنده مهارة في قلب الترابيزة..كان بيعرف يخليني اتأسف حتي لو هو اللي غلطان وماكنتش بفهم أزاي بيعمل ده أنا ليا حق ومش بعرف اخده منه..

اتحكم في كل حاجة فيا، كل معالم الحياة فقدتها بسببه، كان بيمنعني من جمال ولو ما امتنعتش عنه بيهددني انه يدخل يقوله علي علاقتنا ويقوله ما يكلمنيش تاني ويهزقه...

كنت بكلم جمال اوقات من وراه ولما احس بأني كده بخون ثقة ريان كنت بتحجج لجمال بأني هنعزل فترة وكان بيحترم رغبتي، ببقي نفسي يقولي " لا ما تمشيش "، كنت مع كل كلمة ببعتها ليه او اكتبهاله في الشات بصرخ جوايا استنجد بيه واقوله "جمال انقذني منه أنا بأذى نفسي"..

بعد ما زاد بيا التعب النفسي وبدأ يأثر عليا صحيا واتجه لطرق الأدوية والمهدئات بدأت اقرأ كتب علم نفس في محاولة مني أني أفهم اصلح علاقتي بريان أزاي، او اتخلص منه أزاي؟

لقيت أن ريان بيقوم معايا بظاهرة اسمها "Gaslighting"

يعني ده شيء نفسي متعارف عليه وهو نوع من انواع التخويف والإرهاب النفسي، بيحاول يقنعني باللي بيقدمه وانه شيء حقيقي وهو مجرد وهم..

بيبدأ يعمل ده بخطوات وهي أنه يقول كدبة صارخة..يعني أنه يكون بيكدب بس اسلوب القاءه هو الصراخ وده يخليني مهما كان معايا دليل أني صح أشك في نفسي.

وكمان الانكار...بيكون بارع في إنكار اي شيء عمله او قاله بطريقة سؤال فيخليني اشك في نفسي.

فهمت انا ليه بمرور المواقف بدأت ماقدرش اتعامل معاها وعرفت إنه أمر طبيعي من شخص بيمارس الطريقة دي..عايش حياته علي الكدب وأفعاله لا تناسب اقواله...

كنت مع ريان ببقي هتجنن أزاي بيقدر يخليني اقتنع اني غلط وأنا مدركة ان ليا الحق ؟ وفهمت انه اللي بيتعامل بالظاهرة دي بارع في الاسقاط..

لما كان بيحصل مشكلة كان علشان يثبت خطأي يلجأ انه يقولي شوفتي فلان شايفك غلط أصلاً، وصاحبتك فلانة قالت انك غلط

واخر حيلة ليه اللي لما لقيت الاجابة المناسبة لسؤال أنتي ليه رغم كل ده ماسيبتهوش، وكنت بقول بدالها مش بعرف اسيبه..الكتاب قال إن الشخص ده بيبدأ يوجه الطرف التاني انه النور وقت الضلمة..والكل كدابين ومؤذيين وهو بيعمل كل حاجة لحمايتك ومن خوفه عليك وحبه ليك

الكتاب اداني وقتها الدافع أني اسيبه لكن الكتاب ماقليش إن ممكن الشخص ده يعمل فيا كده في النهاية لما أمشي.

سكوت جمال طول، وأنا شرودي وداني مكان ماحبتهوش، أفتكرت السؤال اللي سألتهوله وقلبي ألمني لأني مدركة إن جمال هيحتاج حاجة أنا برا عنها..أنا مش فيها..

اتنحنحت علشان مايظهرش أن صوتي مهموم:

-كل الحاجات الساكتة دي محتاجها؟ يا راجل قول كلام غير ده عيب.

برضه ساكت وبدأت اسمع حركة في التليفون زي ماتكون خطوات رجل بتمشي، خطوات عشوائية بسرعة ومابقتش فاهمة في إيه!

-جمال أنت كويس؟

الحركة وقفت وخرج زفير قوي وبصوت مشتت قالي:

- أنا كويس ما تقلقيش.

--ماقلتليش محتاج أيه؟

محتاج نسيبنا مني شوية وتحكيلي تفاصيل اللي حصل.

سكت انا المرة دي وسكوتي طول واتحول لدموع، صوته خطفني من الذكريات تاني:

-لا لا عياط لا أنا معاكي أهو، أنا عارف أني بضغط عليكي بس بجد محتاج أعرف..

-مش هقدر اتكلم علي التليفون لما نتقابل طيب..

فجأة كل حاجة خرست لما سمعت ضجة جاية من الصالة، انا خفت وهو وصله الصوت فسأل:

-في ايه عندك؟

--مش عارفة مش عارفة يا جمال.

-طيب اهدي بس ما تخافيش انا معاكي.

دخل بدر وعلي ملامحه غضب وخوف وبصوت عالي قال اللي دخلني في حالة هلع:

-صاحبكم سيف كداااب، سيف هرب ريان ما اخدهوش القسم يا ملك.

****

"سيف"

نزلت تحت اشوف مين وسايب ريان علي اعصابه فوق، بصراحة كنت خايف ومرعوب يكون جمال، بس كنت متأكد إنه مش هيسيب

ملك ويجي الشرقية لأي سبب كان...فتحت الباب لقيته واحد من اصدقاء الطفولة ..طفولة بلدي الأم..الشرقية..

دخل وقعد معايا في صالون شقة والدي وشربنا الشاي واتكلمنا، عدي وقت طويل لحد ما تلفوني رن، جمال بيتصل بيا، ماردتش ومش هرد..لاحظ شرودي وتوتري صديقي فاستأذن ومشي، طلعت لريان ابلغه باتصال جمال قالي ارد عليه وسمعت كلامه

كان بيزعقلي ويستحلفلي وأنا مرعوب، حاولت اهديه وقولتله إن دي كانت غلطة مني ولما زعل مني ومشي ما جتش الجرأة أني ابلغه انه هرب مني، كان طبيعي مايصدقش..بينتله الندم وأني من كتر حزني وندمي جيت الشرقية هنا عشان مش قادر اواجهه باللي حصل وباللي عرفته عن ملك..

كانت حيلة ذكية مني خلت نبرته هديت وبدأ ينتبه بتشكك وفضول

- تقصد أيه باللي عرفته عن ملك! عرفت أيه ومن مين؟

--بصراحة مش عارف أقولك ده أزاي، بس أنا عرفت أخر مشاكل كانت بين ملك وريان بسبب أيه؟ وكمان عرفت أن...

-إن أيه؟ اخلص .

--إنها كانت مقضياها مع ريان.

فزع فيا:

-يعني أيه؟؟

--في أيه يا جمال مقضياها هيكون يعني أيه؟

يعني شاف جسمها قبل كده، أقولك أكتر!!

كدبني وفضل يزعق بس لمست التشكك والحيرة من صوته وده اللي كان لازم يحصل بدل ما هو مخدوع فيها وبيضيع إكرام من أيده علشانها...

بعد ما قفلت معاه اتفقنا نتقابل أول ما ارجع القاهرة، حط ريان ايده علي قلبه وأخد نفسه، بعد نقاش بسيط كان لازم الحق اسافر القاهرة لإن الوقت تخطي ال 12 صباحاً وعندي شغل الصبح، اديت ريان الحاجات اللي كنت جايبها ليه وسيبته ومشيت ووأنا في الطريق كلمت مرفت وحكتلها عن كل حاجة وسألتها

-اتصلتي بإنچي سألتيها التحقيقات واصلة لفين؟

****

"جمال"

الليل ماعداش بسلام، حاجات كتير تقيله علي قلبي وعقلي ومش قادر ارتبهم ومش عارف اغضب علي أيه؟ وأحزن علي ايه؟ وأفكر ازاي..

كنت خايف علي ملك من انه يظهر ويئذيها تاني، وعلي خوفها اللي هتفضل فيه طول الوقت.

وكنت غضبان من سيف وكلامه، وصلني للشك في ملك لدقايق وندمت..أنا عارف إن ملك عمرها ما تعمل كده..هي ممكن تكون عملت كده فعلاً؟ طيب ولو حصل ده معناه أيه؟

لمسها!! بعتتله صور؟ طيب ايه مدي الاتنين؟ لا لا مستحيل ده كدب...عقلي هينفجررر

بتنقل في الشقة في كل حتة شوية، كلمت الشباب وسألتهم تاني علي تفاصيل اللي حصل لما سيف راحلهم وبعدين ريان أختفي من المخزن وبرضه ماطلعتش بشيء مفيد، هما قالوا أنه راح وقالهم أني باعته وهنوديه القسم، ولما راحوا لقوا المخزن فاضي والاربطة اللي كان مربوط بيها مفكوكة..طبيعي يهرب يا سيف الغبي حد يفك واحد زي ده وهو رايح يوديه القسم!

تفكير تفكير...تفكير..

ملك وسؤالها الأخير، وأنا اللي جه الدور اني اسأل نفسي

أنا محتاج أيه؟ هل هي ملك اللي بدور عليه!

اللي بدأ يدق جوايا ده مشاعر لملك! طيب ولو ده بجد أزاي أنا طول الوقت مش شايف ده رغم انه واضح جدا!

لا لا كل دي اوهام...

اتكلمت أنا وبدر بعد صلاة الفجر واتفقنا أننا هنتجمع عندهم في البيت نشوف موضوع ريان ده وهنعمل فيه أيه؟ كنت قاعد بعد الساعات والدقايق لحد المعاد وأول ما المعاد جه لبست وجريت علي عندهم، بقرب بخطواتي للباب...نبضي بيتسارع...فتحلي والدها الباب، ودخلت وبعد السلامات خرجت بعكازها وعنيها خايفين...قلبي دق بغضب وشك!!

10

قعدنا كلنا في الصالة وكنت ساكت؛ عايز اواجهها بكلام سيف، في اتنين بيتصارعوا جوايا..واحد مش مصدق وواحد بيدافع عنها باستماته...هي من الواضح إنها في دنيا تانية بس طول الوقت لما عيني بتبصلها بلاقيها متعلقة بنظرتها فيا...

أنا متضايق ومخنوق، أنتي عملتي كده فعلاً؟

بسألها كده بنظرتي وعارف أنها مش فاهمة. اتكلم كل واحد فينا عن وجهة نظره وكلهم أجمعوا علي إن سيف كداب وإن هو اللي هربه والدليل أنه فكه، كلامهم منطقي مافيش حد هياخد حد يسلمه للشرطة هيفك قيوده..

بصتلها وعنيا سألت "لمسك وانتي سمحتيله؟"

بدأت نظراتي تثير تساؤلاتها فهزتلي دماغها بإشارة إنها عايزة تفهم مالي؟

بعد نقاش واتفاق أني هحاول ابين لسيف اني مصدقه علشان نقدر نوقعه، طلبت منهم اقعد مع ملك لواحدنا في البلكونة، سابونا هناك وفضلوا في الصالة قدامنا بس إحنا كنا بعيد شوية، سألتني فأنبت ضميري:

-مالك يا جمال؟ أنت مهموم علشان خايف عليا من ريان؟ ماتخفش مش هيحصل حاجة مش انت وهما معايا؟

--انتي ايه يا ملك؟ هو المفروض مين فينا يهدي مين؟ يعني بتهديني من حاجة انتي خايفة منها!

لومت نفسي علي عصبيتي لما حسيتها خافت مني وزعلت، مسكت في السور بكفوفها تستمد منه الثبات وسألتني بصوت بيقاوم البكا:

-أنت متعصب ليه! أنا بحاول اطمنك علشان أنت لما بتطمن انا بطمن.

--أنا اسف يا ملك، انا بس مضغوط بسبب كل اللي بيحصل.

-أنا اللي أسفة، دخلتك في حاجات كتير تعباك.

زعلت:

-ملك لو قلتي كده تاني مش هسامحك.

--خلاص خلاص أنا اسفة.

بصتلها بصة طويلة وسألتها بحدة:

-أنتي ليه ما قلتليش إن ريان شاف جسمك قبل يوم الحادثة!

بصتلي بصدمة وعدم فهم وبان من ملامحها الذعر وعدم التصديق
-نعم؟

-جاوبيني يا ملك.

--أنت بتقول ايه يا جمال؟

-احلفي إن ريان معاملش كده ولا إنه لمسك بإرادتك زي ما بيوضح

دموعها نزلت بسكات ولسه ملامح الذعر والذهول مقتحمين ملامحها، حسيت أني غبي، متهور وحيوان قصاد دموعها وكلامها اللي خرج وأنا بحاول اهديها..

-االقسم بالله عمره ما لمسني بإرادتي، ولا اللي بتقوله ده حصل..ولو حاجة واحدة من دول حصلت غلط هتكون هي إني بعتله قبل كده صور بشعري بعد إلحاح وتعب نفسي من زعله وتأثيره السلبي عليا.

--ليييه؟ ليه يا ملك عملتي كده! اديتيله الفرصة يقول عنك كده ويشوه صورتك..غلطتي.

حطت كفوفها علي بوؤها وهي بتبكي وتغمض عينيها بألم واضح، بدأت احاول اهديها واراقبهم في الصالة مش واخدين بالهم، قربت منها شوية وفضلت اتأسف كتير واحاول اهديها..

-صدقته يا جمال! صدقتهم وهما بيشوهوا صورتي قدامك؟ أنت الوحيد اللي عمري ما تخيلت أني لما اتحط في الوضع ده يجي عليا ويصدق، أنت الوحيد اللي عارفني بكل ما فيا...

--اهدي علشان خاطري والله مش مصدق بس محتاج اسمع منك علشان ارتاح، انا غبي حقك عليا بس اهدي..

شهقت و سعلت وبصتلي بقهر وهي بتضغط علي السور بقبضتها جامد، انهالت منها الكلمات:

-صدقتهم، ما كنتش هتسأل ولا تتعصب ولا تسالني بنظراتك اللي بتحقق معايا بيهم واحنا برا..أحكيلك التفاصيل اللي كنت بتحاول تسمعهم وكنت بمنعهم عنك علشان أنت ماتتئذيش!

استني هقولك اللي صدقته عمل فيا أيه تلت ايام

-صحيت اول يوم لقيتني بردانة وجسمي كأنه متكسر، اتحركت وفتحت عيوني حسيت برمل وارض صلبة بتحتك بجسمي، انتبهت وقتها إن ده معناه أن هدومي مش ملبوسه، قومت مذعورة بحاول

اتكلم او اتحرك، متقيدة، ببص لجسمي المتعري وببكي واحاول استنجد بحد ومش عارفة انا فين وأيه بيحصل؟

سمعت خطوات يومها كرهتني في أي صوت خطوات اسمعه..

بصيت ورايا لقيته كان قاعد ورايا بيتفرج عليا، قعد قدامي مبتسم وبدأ يلمسني بصوابعه وأنا بتحرك علي الارض وجسمي بيتجرح من الرمل اللي منيمني عليه..قرفانة منه ومرعوبة..كنت شايفة إن دي نهايتي خلاص.

قالي بصوته القذر " قلتلك قبل كده مابسبش حاجة بتاعتي لحد ولو لمسها مكاني مابخدهاش تاني بس بكسر هاله قدامه...كنتي مفكرة هسيبك تروحي لجمال! روحيله يا ماما عادي...بس لو قبلك مستعملة هنكون تأكدنا أنه سوسن"

ضحك وقتها بسخرية وأنا كنت ببكي بستنجد بيه منه وهو مش سامع مني غير صراخ مكتوم، قرب مني وفتح المطواة وحركها علي دراعي وعيني بتراقبه بهلع وهو بيقولي " هفك الرباط عن شفايفك الجميلة اللي اخيرا هعرف طعمهم ومش هتصدري صوت علشان مايبقاش أخر صوت ليكي يا حبيبتي اتفقنا؟" بصيتله وهزتله دماغي بالموافقة...كان كل همي يفكني علشان احاول افوقه وافهمه وضعي.

مسكت ايديها وانا دموعي مش عارف اقاومها وبسمعها ومتصور كل كلمة بتحكيها ومصدقها وندمان، شدت ايديها مني ومسحت دموع بيجي غيرها تاني، سألتها باستغراب:

-يعني كان ناوي فعلاً يعمل فيكي كده؟ طيب وليه ما عملش كده طالما ناويها؟

--علشان أنا ربنا بيحبني، علشان طول الفترة اللي اخدت فيها قرار ننفصل كنت بدعيه أنه يحميني من شره..

-مش فاهم!!

--ما كنش يقدر يقربلي وقتها يا جمال.

اصابني الغباء حاسس أنها بتقول طلاسم مش فاهم ايوا ليه؟

-يووووه، كنت في وقت مرضي بيجي كل شهر وده حماني من قذارته بس محمانيش من قساوته..ولكن القسوة عندي اهون.

--يا ربناااا بجد! مش ممكن علي كرم ربنا.

كملت وهي بتغمض عينيها بألم وأيديها الاتنين بتضغط بقبضتهم علي السور لدرجة أن صوابعها أحمروا جداً وكنت خايف يحصلهم حاجة:

-من اول ما عرف وماكنش مصدق ومفكرها كدبة، أتأكد وأنا بحلفله بتوسل وبتحرك يمين وشمال علشان أبعد عنه فشاف اثر...قرف مني يومها وما هديش غير لما قيد شفايفي تاني وفضل

يضرب فيا بأيده ورجله بغل، كنت بتمني الموت في كل ثانية، لما دخت من الضرب وشوفته وهو بيسيبني ويقفل النور
ويمشي...فكرت نفسي بموت، استشهدت 3 ليالي قبل ما اغيب عن الوعي ولما كنت بفوق ما كنتش بفرح اني عايشة...كان كل يوم فيهم بيجي ويضربني بطريقة شكل ويقول كلام يئذيني، في اليوم التاني...

شهقت كتير وضغطت أكتر علي السور، عايز اهديها، عايز احضنها زي ما حضنتها وأنا بلحقها منه..مش عارف اتصرف ومش عارف اقاطعها هي محتاجة تحكي..

-في اليوم التاني ايه حصل يا ملك؟

--فوقت، حاولت اتحرك، زحفت في الضلمة علي الارض بجسمي المليان جروح، كنت بتألم وبتوجع ورا اللاصق اللي علي بوئي واستني دقايق استريح واكمل زحف لحد ما وصلت لباب الغرفة وفضلت اخبط عليه بدماغي علشان حد يسمعني واصرخ بصوت مكتوم بس ماحدش بيسمعني، لحد ما سمعت خطوات..

عارف لما يكون يوم فرحك وتقابل عزرائيل يقولك هنمشي الليلة؟

كنت انا مفكرة ان دي خطوات حد سمع استغاثتي لكني عرفت أني ميتة لا محال اول ما فتح الباب ودخل شدني من شعري، يومها مسك ازازة متكسرة وفضل يقصقص شعري كعقاب لده

وماكتفاش، وهو ماشي رمي الكرسي الحديد اللي كان بيجي يقعد يتفرج عليا عليه، وانت عارف نتيجة ده أيه...أنا...أنا بحكيلك ليه! أنت صدقته..هتصدقني اتحامي فيك ازاي دلوقتي؟

مسكت أيديها وضميتهم لبعض واحتويتهم جوا كفوفي وأنا ببكي وبضغط علي شفايفي بألم، أنا اللي استاهل كل اللي حكته ده مش هي..

بترتجف، فتحت عينيها وبصتلي بعتاب وكسرة، اتأسفتلها كتير، بس مافيش اسف هيغير اللي أنا عملته، شالت أيديها بهدوء ومسحت دموعها..

-أسف يا ملك، اسف أني ضعفت وغلطت في حقك بس أنا مشتت ومضغوط، هجبلك حقك والله، بس سامحيني..

بطيبتها:

-خلاص حصل خير ماتعيطش...مش هزعل..

زادت دموعي ولأول مرة اكون ضعيف وابكي قدامها

لاحظنا بدر اللي دخل واول ما لمحته مسحت دموعي بسرعة وبصيت بعيد، سأل:

-مالكم في ايه؟

--قلتله بلاش أحكي هو اللي أصر

افتكرت حاجة فسألت:

-أنتي أزاي عرفتي تبعتيلي من عنده يومها صحيح.

قال بدر وهو بيسند ملك علشان تقوم ويديها عكازها:

-أحكيلك انا بقي الجزء ده باختصار مفيد علشان ملك بتيجي هنا وتعيط جامد لحد ما هي تقوم تكلم صاحبتها اللي جت تزورها برا

خرجت ملك وبدأ بدر يحكيلي:

-ابن الكلب خنزير بيجي بكلمة حنينة، ملك جربت تتذاكي عليه وقالت تعمل محاولة، طاوعته وطلبت منه يفكها وأنها هتعمل اللي هو عايزه علشان تعبت من الضرب..وانها بتحبه ومش مستاهلة كل اللي بيعمله ده ولو عايز حاجة هي هتديهاله بإرادتها أول ما يكون ده مسموح ليها..

صدقها بأعجوبة وفكها وهي بالفعل فضلت معاه هادية وبتتكلم وتسمع ويلعبوا وكل ده وهي في حالة من الانهيار الداخلي والثبات الخارجي اللي بتحلف مش عارفة جالها منين؟

بتقول بالصدفة تلفونه رن وهو هيروح يدخل الحمام رمي التليفون وهو بيقفل الشاشة بس ماتقفلتش معاه، فخطفت هي التليفون أول ما خرج وفتحت واتساب ماكانتش عارفة تعمل ايه!، بس لقت جروب الدفعة وأخر مسدجات كانت فيها رقمك، فدخلت سجلتلك واول ما حست بيه مقرب من الغرفة قفلت ومسحت المسدجات وسابت

التليفون مكانه..كانت بتموت من الرعب أنك تبعت اي حاجة فيفهم انها فتحت وبعتتلك..

تخيل يا جمال أنا بحكيلك وقلبي موجوع عليها! هي ازاي بتحكي وأزاي عاشت ده؟

أنا كنت مش عارف إجابة أقدر اقولها غير إنها أقوي شخص قابلته في حياتي رغم إن جواها طفلة جميلة بريئة، بس الدنيا معانداها.

أنا محتاج الاقي سيف وريان..

استأذنت علشان أمشي، في الوقت اللي كانت صديقة ملك بتسلم عليهم وهتمشي، هو الوقت اللي خرجت من البلكونة وشوفتها فيه، انا الشكل ده مألوف ليا...إنچي!!

****

" بدر"

بعد ما وصلت جمال في طريقي لبيته، روحت اشتريت بوكيه ورد بنفسج زي ما هي بتحب...رشيت رشة برفن من اللي كانت بتحبها وكنت دايما بخبي زجاجة منها في العربية، علشان لو صادفتها في يوم..

وقفت قدام الاتيليه وبصيت لعنوانه "الفاتنة"..دومتي فاتنة يا روحي أنتي، ابتسمت وأنا بفتكر الجملة دي كنت بقولها ليها وكانت بتحبها معني كده لسه جواها حتي مايلة ليا..

دخلت وشوفتها من بعيد واقفة بتتكلم في التليفون بفستانها الرقيق الأسود...ريحة العود اللي هي بتحبه مالية المكان، حقيقي مبهرة في اختيارها لتصميم المكان، اضواءه هادية وألوانه ملفتة ببساطتها..واسع ومريح للنفس..التفتت فجأة بعد ما خلصت مكالمتها وماكانتش منتبهة لدخولي من الاول فأول ما شافتني اتخضت..

-أنت بتهزر صح؟ أنت بتطلعلي منين أنت اااووف.

قعدت علي مكتبها فوقفت قدامه ومدتلها أيدي بالورد وقلتلها بمرح:

-كنت معدي من مكان فيه ورد، البوكيه ده ندهلي وقالي اجيبه ليكي..غالباً عنده مناسبة وعايزك تلاقي ليها فستان مميز من تصميمك.

كانت بتمنع ابتسامتها:

-اتفضل اطلع برا.

بصيت للورد وقلتله بحدة مصطنعة:

-عاجبك كده، ما انا قلتلك أنها هتطردك من المكان يلا اتفضل اطلع برا..

قعدت علي الكرسي قدامها وحطيت الورد علي أيد مانيكان وقلتلها:
-خلاص ماتضايقيش نفسك ده قليل الزوق وأنا مشيته
خلاص..هنرجع امتي بقي؟

ضحكت أخيراً فابتسمت واتنهدت:
-يا شيخة بقي تعبتيني، ايوا كده اضحكي...

--مش هرجع يا بدر.

-أومال ليه سميتي المحل زي ما كنت بناديلك!

ارتبكت وبدأت تهز في رجلها وقالت:
-عادي، اسم مشتق من اسمي فسميته كده.

--لا يا فاتنة..أنا لسه جواكي بس أنتي غضبانة...حقك، ومديكي كل الحق في معاقبتي زي ما تحبي بس من غير ما تطولي البعاد.

ملامحها بان فيها الحزن وقالت:
-مش هينفع ارجع يا بدر، أنا معاك بحس أني مش موجودة، بكلم الحيطان والنجف وأنت دايما مش شايفني...ماليش حقوق كزوجة..حتي لما طلبت اشتغل واشغل نفسي بدل ما بموت من الإهمال رفضت واهنتني...وانا مش مستعدة ارجعلك وأهد كل اللي بنيته...أنا ما صدقت بقيت نفسي وقدرت اتخطاك.

مسكت أيديها علشان أطمنها واوصلها احساسي وكأن كل نبضة جوايا بقت بين ايديها وقادرة توقف نبضي برفضها في لحظة وترجعني للممات اللي كنت بعيشه من غيرها تاني:

-كنت غبي وفوقت، والله فوقت واتغييرت...بدر اللي عرفتيه ما كنش عارف قيمتك بس هو حالياً عرف إن حياته من غيرك ما لهاش قيمة..

أنا غلطت وأسف...

شالت ايديها من أيدي وقامت وقفت قدام باب الاتيليه الزجاج من جوا، روحت وقفت وراها مستني تنطق بحكم الإعدام، لكن دبحها ليا كان بطريقة مختلفة

-ما سألتش نفسك أنا ليه كنت بأخر موضوع الحمل والخلفة يا بدر؟

--علشان عايزة نستمتع بحياتنا شوية الأول؟

-وهي حياتنا كان فيها أي سبيل لمتعة؟

بصتلي بهدوء وقالت بكل قسوة:

-أنا كنت بمنع أجيب طفل منك علشان ماظلمهوش معاك، لأنه هينموا من غير أب وناقص أمان واحتواء..ماكنش هيتحمل اللي أمه اتحملته.

مشيت من عندها موجوع وكلماتها الأخيرة بتتردد جوا عقلي بتتعبني:

-أمشي يا بدر دور علي حياتك في مكان غير عندي، أنا مرتاحة كده.

****

"إكرام"

صحيت الفجر علي رقم غريب، ورديت

-عملت فيكي جميل وما قلتش لحبيب القلب إن أنتي اللي عرفتيني مكان القطة أهو..

صوته فزعني واتصدمت لأني ماكنتش أعرف أنه مش محبوس، أنا اللي عرفته من مرفت إن جمال خلي أصحابه يسلموه، هو طلع منين ده؟

--انت برا الحبس أزاي؟

-مش مهم المهم أنك مش معايا فيه.ولا أيه؟

--عايز ايه يا ريان؟

-خفتي ليه يا عبيطة انا صديقك عمري ما اذيكي، متخافيش سيرتك ماجتش ومش هتيجي أنا بس عرفت أنك خايفة من الموضوع ده فجيت أطمنك بنفسي.

استغربت:

-وعرفت ازاي؟ هو سيف بيتواصل معاك؟

--بصي مش قادر أحكي تفاصيل، المهم طمنيني أنتي عاملة أيه؟ وواصلة لفين مع جمال أوعي تحكيله انتي كده كده مالكيش زنب وأنا اللي اتصرفت من وراكي.

هو ازاي طيب ولطيف بالشكل ده، وعمل في ملك كده؟ قلتله:

- أنا وجمال انفصلنا..وماحكتلوش حاجة.

--انفصلتوا؟؟ ليه كده بس؟ أكيد برضه عملت اللي في دماغها ووقعته، انا اسف والله حاولت امنعها عنكم لكن مافيش فايدة.

ارتعبت واتصدمت. يعني ايه الكلام ده؟

سألته وجاوب:

-ما أنا اصلي كنت بشك في ملك الفترة الأخيرة بسبب جمال ولما وجهتها لما روحت اصالحها يوم ما قلتيلي مكانها، صرخت فيا وقالت أنها سابتني علشانه أصلا، ولما زعقت معاها مدت أيديها عليا فماقدرتش اتحمل اكتم غضبي وحصل اللي حصل بقي.

بكيت بحرقة، الحيوانة القذرة أزاي بس تعمل كده! زعلت علي كل مرة شيلت همها فيها وعلي كل مرة اعتبرتها صديقة فيها..وندمت علي المعزة اللي كنت بكنها ليها في يوم من الأيام..ماكنتش متخيلة أزاي رميت كل اللوم والذنب علي ريان.. اتاسفتله وحاول يهديني..حكيتله اللي دار بيني أنا وجمال قبل ما ننفصل وحاول يهديني

-ماتزعليش نفسك، انا قلتلك أكتر من مرة أنه مايستاهلكيش، أهو راح للي يستاهلها..هما الاتنين اسوأ من بعض...بس الاول طمنيني، هو لمسك؟

--أيه ده لا طبعاً.

-ولا بعتيله صور كده او كده؟

--لا بقولك...بس ليه بتسأل؟

قالي اللي خلاني قرفت من ملك وفرحت في جمال:

-اصل كنت ناوي افضح ملك بالحاجات اللي عندي ليها، وابعتهاله، فماكنتش عايز احطك في موقف وحش علشان انتي تعزي عليا.

11

"ملك"

بدر وصل في الوقت المناسب، عرف ينتشلني من رحلة خذلان جديدة اتاخدت ليها، بس المرة دي كانت أقوي..الشخص الوحيد اللي ثقتي فيه ما تهزتش وسط ثقتي اللي انعدمت في كل العالم، صدق للحظة اني سيئة.

الإنسان الوحيد اللي لجأتله من عدوي..صدقه واتهمني.

كنت خارجة من البلكونة وسايباه وأنا عايزة أصرخ وابكي واشتكي...اشتكيله! أنا اتعودت اني ههدي معاه..بس ما اتعودتش أني يوم ما الجأله من أذي حد يكون هو.

مسحت دموعي ودخلت الصالون بابتسامة هلكانة مفتعلة، ما كنتش متوقعة إن إنچي هي اللي أنا داخلة ليها، فرحت جدا بوجودها..كان نفسي تكون ظروف أفضل من كده اللي تجيلي البيت لأول مرة فيها

رحبت بيها وحضنتني بقوة اتألمتلها بحكم الجروح اللي بتلتأم، اتأسفت وساعدتني اوصل للكرسي، دخلت أسيا بكبايات العصير وقدمته لينا وخرجت..

مسكت أيدي أنچي واتكلمت بتأثر وحزن:

-أنا أسفة بجد، اسفة أني سبتك في اليوم ده معاه لواحدك، لو كنت أعرف أو حسيت للحظة أنه ناوي شر ما كنتش هسيبك معاه لحظة.

ابتسمت بانكسار وربت علي كفها بامتنان وقلتلها:

-ماتشيليش نفسك ذنب..ده قدر مكتوب ليا أشوفه، الحمد لله إنها جت لحد كده.

--الحمد لله والله..بس أزاي وصلت بيه القذارة والقسوة أنه يعمل كده، اللي يشوفه واحنا اثناء الدراسة يقول إنه غير كده تماماً..أه كانت عصبيته وحشة وبيزعل علي حاجات تافهة وكمان عندي بس مش توصل بيه لكده!!

كل كلمة بتتقال عنه بتئذيني وبتهيني، حسيت بضيق تنفس مش قادرة أسمع":

-كفاية..إنچي كفاية أرجوكي ما تجبيش سيرته.

مسحت دموعي بمنديل خرجته من محفظتها بعد ما حطت تليفونها علي الطرابيزة قدامنا وهدتني وانتقل الحديث لتفاصيل ما بعد مقابلتنا، وشكرتني علي مساعدتي ليها...فجأة وصلتلها رسالة، تلقائي عيني راحت لشاشة تليفونها قبل ما تمسكه بسرعة وتقفل اضاءته..سألتها باستغراب:

-دي مرفت محمد! خطيبة سيف؟

--ايه! أ_أه هي، رجعنا نتكلم تاني من ساعة ما عرفنا الحادث واللي كانت بتعرف معلومة تطمن بيها التانية بنتواصل..أصلاً الدفعة كلها رجعت اتجمعت علي حسك، وكلهم زعلانين علشانك.

ابتسمت بحنين:

-والله وحشتني أيام زمان دي، وأيام الشلة والصحاب والسكاشن..كانت أيام لذيذة...والحمد لله إن الجروب ده لسه موجود، لولاه ماكنش حد هيعرف ينقذني.

سألتني بعدم فهم:

-أزاي يعني؟

قلتلها بارتياح:

-ما أنا قدرت اوصل لجمال منه من علي تليفون اللي ما يتسمي من غير ما يحس وده اللي خلاه يعرف يوصلي.

بصت في التليفون وبعدين قالتلي بشرود:

-أه، فعلا. الحمد لله حقيقي..والحمد لله اطمنت عليكي، أنا مضطرة امشي علشان ما أتاخرش علي الشغل.

-ليه بس ما أنتي قاعدة معايا، إحنا حتي ما لحقناش نقف شوية زي ما اتفقنا لما اتقابلنا وأنا تعبت وحصل اللي حصل.

قامت وقفت ووقفت معاها بمساعدة صديقي العكاز

-مرة تانية بإذن الله.

خرجنا الصالة علشان اوصلها واثناء ما كنا واقفين شوفته قلبي دق..زي كل مرة بيدق لما بشوفه لكن المرة دي كانت دقة حزن، نبضة مؤلمة..خرج هو وبدر وفجأة لما بصلنا لقيته بيركز في ملامح إنچي اللي اتوترت لما شافت نظراته..إنچي!!

سألها، وبصمت اشارتله بالإيجاب، اتحولت ملامحه لغضب وتشكك قدرت افهمهم بسرعة من عينيه اللي وسعت وأسنانه اللي ضغط عليهم للحظات قبل ما يسألها عن حالها، كنت مستغربة ليه جمال بيبصلها بتشكك كده ونبرته مش مريحة..بدر اتكلم

-طيب يا چيمي أنا هطلع شقتي أجيب محفظتي ومفاتيح العربية علشان اوصلك في سكتي.

اشارله بالموافقة ورجع بص لإنچي اللي قالت فجأة وهي بتبعد بنظرها عنه:

-طيب وانا كمان استأذن يا ملك..

--استني بس يا إنچي، ده انا ما صدقت لقيتك..

قالها جمال في حين أني بصيتله وكلي علامات استفهام، وكنت عايزة اسأله "إنچي؟ ليه؟" بس هي لحقتني وسألت قبلي:

-أنا!! ليه؟

--يعني، كنت عايز أعرف سبب مقابلة ملك ليكي يوم ما اتخطفت، أصل ملك من حالتها السيئة ما بتحكيش وإحنا مش هنسكت غير لما نعرف..أصل بيني وبينك اللي ماسك القضية حبيبي ولسه أنتي تحت المراقبة..أصلهم مش مصدقين افادتك..فأنا عايز افهم.

بصيت لإنچي بعد كلامه اللي صدمها وملي عيونها دموع وتأثر، ورجعت بصتله بلوم وغضب أقوي؛ هو ما لهوش الحق يكلمها بالإسلوب ده، ولا إنه يوجهلها إتهام بالشكل ده.

-جمال اسكت..أمشي يا إنچي.

--لأ مش هسكت ومش هتمشي

منعها من الخروج بأنه وقف قدام الباب وعليت نبرة صوته:

- مش هتمشي من هنا الا أما افهم انتي ليه بتتستري عليها! وأعرف كنتي مقابلها ليه؟

صرخت فيه:

-ما قلتلك كنت بديها حاجة يا جمال.

--حاجة ايه مش همشي غير لما اعرف

الاسرة اتجمعوا وبيتسألوا عن اللي بيحصل، بصتلي إنچي باستنجاد ودموعها نزلت وبدأت نظرتها تتنقل بين الواقفين لحد ما صرخت ببكاء فجأة:

-كانت بتديني مبلغ مالي محتاجاه علشان ادفع مصاريف مستشفي والدتي المريضة..ارتحت!

بوست دماغها وحاولت احضنها واتاسفلها لكنها بسرعة جدا بعدته عن الباب وخرجت، حاول يجري وراها يلحقها لكن كانت اختفت عن الانظار..طلع وبصلي بندم، كنت غضبانة منه بشكل لا يوصف

-ماكنش ينفع اللي عملته ده يا جمال يا ابني.

--اعمل ايه يا عمي، هنفجر خلاااص...بنتك مابتقلش حاجة، كان لازم تقول وتعرفني بدل ما تحطني في الموقف ده والحيرة دي.

صرخت فيه بكل غضبي:

-أنت اللي حطيت نفسك في الموقف ده مش أنا..قبل ما تلومني لوم والدي اللي معلمني إن الصدقة واجرها بيكونوا في الخفاء...أنت مش واخد بالك أنت بتعمل أيه وبتقول أيه ومع مين..روح ارتاح علشان تكون جاهز لكدبة تانية تصدقها.

سيبته وسندت علي دراع اسيا وطلبت منها تدخلني الغرفة، دخلت قعدت علي سريري وأنا زعلانة من رد فعلي معاه..انا عارفة أنه مضغوط بسببي وعلشاني، لكن صفعته اللي وجههالي النهارده قلبت موازين كتير جوايا وخلتني هبدأ اشك في كل فعل منه...

****

"سيف"

بعد ما رجعت القاهرة وروحت الشغل نمت في المكتب ساعتين، وصحيت علي تليفون مرفت، ما كنتش قادر ارد محتاج أنام، رنها المتواصل عرفني إن في حاجة مهمة

-ايه يا مرفت في أيه؟

--إنچي المتخلفة وصلت عند ملك وجمال هناك

اتعصبت عليها:

-هو أنتي مش بعتيلها مسدچ زي ما قلتلك؟

--بعتلها والله بس كانت وصلت وقاعدة مع ملك..المشكلة اني كنت عرفت من أسيا متأخر لو كنت عرفت بدري كنت لحقتها.

مسحت وشي بكفي بنفاذ صبر وسألتها:

-أيوا وأيه حصل، سألها ولا وصل منها بحاجة؟

قالتلي وهي مترددة ومحتارة وكان واضح جدا من كلامها اللي مش مترتب:

-مش عارفة..بس هي قالت الجزء الخاص بالفلوس وعيطت وسابتهم ومشيت..بس هي بتقول إنه بلغها إنها لسه تحت المراقبة وأنهم مش مصدقنها فهي بتعيط وخايفة.

خدت نفس قوي وبحاول افكر، طبيعي تثير الشك ناحيتها لإن ملك اختفت اثناء مقابلتها معاها، والكلام اللي قالته في التحقيق في خيط ناقص فكان لازم تفضل تحت المراقبة خاصة أنهم بيدوروا علي المجرم الاساسي اللي أنا اصلا مخبيه

يا الله..كل شوية حد برئ يدخل في القصة بسببك يا ملك..

مرة ريان، ومرة إكرام، ومرة تانية اللوم كله يروح لإنچي..وأهو الدور الجاي عليا.

-يا سيف سكت ليه؟

اتنهدت بهم وقلتلها وانا بنهي الحديث:

-خلاص يا مرفت حاولي تهديها والفترة الجاية ابعدي نفسك عن اي حاجة، مش هيبقي كلنا ندخل في القصة دي يعني.

--لا يا حبيبي ما تخفش إن شاء الله كل حاجة هتعدي، بس أنت كده هتعمل أيه مع ريان؟ الحكومة لو عرفت أنه عندك هتتحبس معاه.

ماكنتش فايق ولا قادر لإضافة اي تشويش لأفكاري تاني فقلتلها بحدة:

-خلاص يا مرفت بقي، هفكر واشوف هعمل ايه.

قفلت معاها وبدأ الشغل، بحب شغلي جداً فانهمكت فيه، أينعم مكتبنا لبيع السيارات مش كبير أوي بس بكره يكبر بكل المجهود اللي بحاول اعمله..أنا مؤمن إن لكل مجتهد نصيب...طلعت ورقة وقلم وقت ما الشغل هدي وفضلت اشخبط واكتب حاجات عشوائية، بحاول اصفي ذهني بس الهدوء ما طالش كتير لما لقيت اللي بيشدني من فتحت التيشرت وبيقومني من مكاني بعنف

-اهدي يا جمال نتفاهم.

--قوم تعالي معايا علشان ما ارتكبش جناية حالاً.

-جمال ما تتهورش المكان فيه كاميرات..

بصلي وساب فتحة التيشرت وحط ايده علي كتفي وبحدة أمر:

-يبقي تقوم زي الشاطر وتيجي معايا علشان ما نعملش شوشرة في مكان اكل عيشك..قوم اقفل المحل وتعالي.

ماكنتش عارف هنروح فين لكن كل اللي كنت أعرفه أني خايف وعايز اهديه، ولو ما سمعتش كلامه ممكن يتهور، نفذت كلامه وخرجت أخدني علي موتوسيكل للچيم اللي في منطقتهم، كنت فاهم اللي هيجرالي فوق وكنت مش عارف اهرب منه ولا اعمل أيه!

بس لما طلعنا الشباب سلموا عليا عادي! المكان كان فاضي مافيش حد بيتمرن، الاغاني عالية وداخلين بكل روتينية، جمال بيسلم عليهم براحة وهدوء وأحضان! كنت مش فاهم حاجة، ليه العنف اللي كان بيحصل معايا برا؟ وازاي اتحول كده؟

طلب جمال يخفضوا صوت الأغاني وإننا هندخل المكتب جوا، قعدنا علي كنبة جلد كانت مريحة لكن القعدة قدام جمال في المكان ده خصيصاً مش مريحة نهائي، لقيته بيقولي بهدوء مناقض لكل العنف اللي فات:

-أنا لو كنت دخلت عليك داخلة عادية ما كنتش هتوافق تيجي معايا فكان لازم الشو ده..وبصراحة مش شو ولا حاجة أنا غضبان منك بسبب تصرفك، بس مش مهم اللي حصل حصل أنت كنت خايف علي صاحبك فقولت تساعده بس المساعدة موفقتش معاك...بس أنا مش قلقان كده كده هيستخبي شوية وهيجبوه.

سكت وأنا فضلت باصصله بصمت مستنيه يكمل، فضل باصصلي كتير جواه سؤال بس غالباً مش عارف يخرجه ازاي، سألته:

-وبعدين!!

اتعدل في قاعدته فجأة وقرب مني فاتفزعت، قالي:

-أنا بصراحة ما نمتش من وقت مكالمتك أمبارح بسبب جملتك، وعايز افهم التفاصيل..مش هينفع أكون بحكم من غير ما افهم.

--تفاصيل ايه؟

-ملك عملت حاجة غلط مع ريان؟

قلتله وانا باخد راحتي في القعدة علي الكنبة:

-لا مش عارف ماقدرش اقول كده..بس كل اللي قاله ريان وانا بواجهه قبل ما يهرب إن هو مش أول مرة يشوف جسمها وإنها متعودة معاه علي ده.

قام وقف وخبط الكرسي اللي قدامه برجليه وقع اتكسر وقال بعصبية:

-يا بنت ال..يعني أنا كنت بدافع عنها وهي اصلا كانت..

رجع قعد جنبي وقالي بعصبية:

-بس أنا هتجنن..ليه رغم كل اللي عمله ده ما لمسهاش! ما لو عايز يئذيها بجد او ينتقم انها سابته كان عمل كده.

فرحت أن جمال دماغه بتفكر زينا، معني كده إن ملك لسه ما حكتش حاجة من ناحيتها واصطنعت قصة مختلفة، كانت نقطة حلوة وحسيتها لصالحي مش لصالح ريان..أنا بجد محتاج مساعدة جمال وعدم مهاجمته لينا..بس لسه جوايا حاجة بتقولي لا، جمال بيمثل!

-علشان ببساطة كل اللي حصل مش متخطط ليه، وعلشان ده كان رد فعل عنيف منه يرد بيه كرامته اللي اتهانت بسبب ملك.

سألني باهتمام:

-كرامته اللي اتهانت؟؟

--انت عرفت ايه حصل اصلا؟

جاوبني بقلة حيلة، كنت عارف إنه لما بيحس بقلة حيلة بيخي وشه بين كفوفه وهو بيتكلم:

-لا ملك مش بتتكلم ولو حد جاب سيرة الموضوع بتنهار

ابتسمت بسخرية وقلتله وأنا بحط رجل علي رجل:

-أنا هحكيلك اللي حصل بالظبط، ملك كانت واقفة هي وصاحبتها وريان علشان بقاله فترة شغال اوبر فبيلف كتير بالعربية، صادفت في اللحظات دي أنه مر من عند الميدان وهو واقف يشتري حاجة يفطر بيها من كشك، كانوا واقفين علي الرصيف التاني فلمحها بالصدفة فراح ليها...اصلا كان مخطط قبلها بيومين يكلمها يصالحها فقال ينتهزها فرصة..

اول ما شافته بصتله بقرف بعد ما سلمت علي إنچي علشان إنچي ماشية وهي هتسلم عليها وتمشي في طريق مختلف فوقفها، كانت إنچي راحت تركب تاكسي ومشيت في الوقت اللي الكلام احتد بين ملك وريان اللي كان بيحاول يصالحها وراحت ضرباه بالقلم...

--اووووه ضربته بالقلم!!

اتصدم ووسع عينيه وفتح بوؤه بعدم تصديق فجاوبته بحماس:

-ايوا المهم اكملك بقي..بعدها هو زي ما انت عارف بيتعمي وقت العصبية فمدريش بنفسه الا وهو بيشدها يدخلها العربية ويقفل عليها وياخدها يروح علي شقته بيها بعصبية واتجنن عليها ولما فاق للي عمله ندم..كان اصلا بيروح ليها كل شوية ويجبلها اكل ومياه ومكانتش بتوافق.

سكت لمدة طويلة وأنا مستني رد فعله وبعدين ابتسم بسخرية وهو ساند دراعاته علي رجليه ومميل أكتافه وباصص في الأرض وقال بحسرة لمستها في صوته:

-ما كنتش متخيل أني اسمع ده عن ملك في يوم من الايام...مش هعرف اثق في حد تاني خلاص.

عارف رغم أني قرفان من عنفه واللي عمله فيها..إلا أني بجد زعلان من اللي بيحصل ده..اعتقد الاتنين غلطوا واخدوا عقابهم بس اللي هيفضل يتحاسب ريان..

شردت وكنت علي وشك أني اشكيله همي وتحملي لمسؤولية حماية ريان، بس خفت..مش عارف اثق فيه كلياً، خفت ملك تتكلم ويرجع يصدقها هي باي حكاية تعرف تألفها.

-إنما انت روحت ليه الشرقية امبارح؟

اتصدمت وحسيت بإن أفكاري اتشلت ومش عارف أنطق، قلتله:

-كان جماعة اصحابي بيتحايلوا عليا بقالهم فترة عايزني اروح اقعد معاهم فاتفقنا وروحتلهم.

--ياه تسافر كل ده علشان اصحابك؟ أصيل وصاحب صاحبك طول العمر يا سيف.

نبرته ما ريحتنيش بس ما لحقتش استفسر عنها لأننا مشينا بعدها من المكان، وصلني للمكتب تاني وسابني ومشي وعقلي بيفكر، هو فعلا جمال مصدق؟

****

"أسيا"

في اشخاص هادين، مشاكلهم في الحياة بسيطة لعدم وجود تفاصيل كتير في حياتهم، بيعيشوا في رتابة ومافيش عندهم مشكلة مع ده طالما مش بيئذوا حد او ماحدش ليه أهمية كبيرة بالنسبة ليهم..

أشخاص بيحبوا الناس القريبين منهم وبيكونوا افضل حد يسمع ليهم وقت ما يحتاجوا يتكلموا...بس عندهم مشكلة، الا وهي أنهم عندهم القدرة يسمعوا كل حاجة، واي حاجة ويتأثروا ويحاولوا يفكروا يساعدوا حباييهم دول ازاي..لكن بالفعل مابيعرفوش يقدموا حل أو نصيحة..

أنا واحدة من الاشخاص دي، يمكن ده سبب كبير في أن ما حدش بيحب يفضل في حياتي كتير..مش عارفة، بس ليه لا!

لكن بطبيعة الحال ما كنتش اعرف إن ده سبب من الاسباب اللي تخلي بيني وبين اختي مسافة كبيرة، أنا بحب ملك ونفسي كنا نبقي

قريبين خصوصاً إنها جت بعدي بسنتين بس..يعني مقربين في السن، بس للأسف نشأنا مختلفين في كل حاجة..

لما ملك حاولت تلجألي أكتر من مرة كنت بسمعها وببقي عايزة احل معاها مشاكلها، بس للأسف ماكنتش بعرف..كنت بكتفي بالصمت..كنت بعرف اطبطب، احضن بس مش بعرف اهدي.

سنة والتانية ولما دخلت الجامعة ملك، لاحظت إن بقي ليها اصدقاء كتير وبقت ترتاح معاهم وتحكي وتعيش مواقف وقصص، كنت شايفة إن ده افضل ليها فكنت بتابع من بعيد واسكت..لما قربت من جمال كنت خايفة عليها، لكن مع الوقت فرحت إنها قدرت تلاقي الحد اللي يقوم بالمهمة اللي مش عارفة اقوم بيها معاها..كنت اوقات كتير بغير منه..خصوصاً لما كانت تشتري حاجة جديدة وابقي مستنية اكون اول حد تيجي تحكيله عنها بفرحتها بيها..

واتفاجئ انها بتجري علي غرفتها علشان تصورها وتبعت تشارك جمال صديقها فرحتها بالحاجة الجديدة..

3 سنين صداقة بينهم لاحظت فيهم فرق كبير في حياة ملك، كنت بستغرب إن في علاقة صداقة بالتفاهم والود الصادق ده، بس كنت بفرح لفرحتها لما تحكيلي بارتياح عن مشكلة اتحلت وكانت نصيحة جمال هي الحل.

او انها كانت مكبوتة ووجوده قدر يساعدها تكون افضل.

كتير كان نفسي يجي يخطب ملك، بس اتفاجئت في مرة لما قالت انه مرتبط..بس ملك قالتها بحزن!

فترة كبيرة حاولت فيها افهم مشاعر ملك تجاه جمال فعلا صداقة ولا في شيء تاني لكن مع الوقت تأكدت..

الصداقة ممكن تبقي اول مشوار الحب الحقيقي اللي ينيمك بتتمني تفقد الإحساس بأي شئ علشان تبطل تحب..وما تفقدش الشخص ده.

كانت نايمة ملك علي سريرها وبتبكي وتحكيلي وأنا بربت علي شعرها:

-صدقهم يا أسيا..أنا مش عارفة اصدق أنه صدقهم بجد

أنا احتميت فيه من كل حاجة، لما فقدت الثقة في الدنيا كلها كان هو المكان الوحيد اللي اخبي ثقتي فيه وهو عراني بتصديق الكلام الظلم ده عني.

إحساس الوجع اللي في صوتها كان مؤذي ليا لذلك، لأول مرة أحس أني لازم اتكلم، لازم يكون ليا صوت غير السكوت:

-ملك يا حبيبتي، جمال بيعزك وكلنا عارفين ده، شايل همك ومش في الفترة دي بس..ده كان بيشاركك كل حاجة حتي همومك كانت

ضمن همومه..كان بينكم مشاكل أكيد وعارفة إن عمرها ما وصلت لهنا..بس أنتي لازم تقدري حاجة مهمة اوي..

لازم تفهمي إن الموقف اللي بتعيشيه دلوقتي مش سهل..وهو كمان حاطط نفسه جزء منه علشان بيعزك، فشايل همك، عايز يجيب حقك وبيحاول رغم عجزه عن ده، بيحاول يكون جنبك رغم انه خايف ومهموم زيك...رغم اللي شافه في حياتك ومنك ومعاكي ما مشيش..لازم تقدري إن كل ده ضغط وهو ليه طاقة وهو إنسان مش معصوم من الخطأ.

قامت قعدت وقالت باندفاع:

-مقدرة..وشايلة كل حاجة بيعملها فوق راسي، لكن مهما كان اي غلط كان ممكن اغفره الا دي...انا ماحدش حافظني قده..أنا المفروض حطاه هو حمايتي، يعني لما يقابلني وضع زي ده هدافع علي نفسي من خلاله..فتخيلي إن هو اللي يكون جاي يهاجمني؟

سكتت ومش عارفة ارد عليها بأية، هي حقها تزعل وتنهار..حقها إن ثقتها فيه تتهز، بس انا كنت برا الطرفين ومدركة اللي كل واحد فيهم كان بيعيشه، كان لازم اتصرف وما سبش العلاقة دي تتدمر ولا حتي الثقة دي تقل

-ملك يا حببتي أنتي ليكي الحق فكل اللي قلتيه ده، بس علي الاقل اديله العذر..بصي ازعلي منه، اتخانقي، فرغي كل طاقتك بس ماتسيبيش الغضب يملي قلبك ويعميكي عن كل الحلو اللي جمال

بيقدمه ليكي...ماتشيلهوش هم اكتر من الهم اللي شايله، انتي ماشفتيش كان ماشي من هنا عامل ازاي بجد.

عرفت احرك ملك الحنونة من جواها، لقيتها بتمسح دموعها وتسألني بتكشيرة وبنبرة صوت اهدي:

-كان ماشي عامل ازاي يعني؟

ابتسمت وقلتلها بتأثر مصطنع:

-كان زعلان جدا جدا، وباين علي عيونه انهم فيهم دموع، وسلم علي بابا وماما بحزن واتأسف وهو موطي راسه في الارض كده ومكشر ونزل استني بدر في الشمس، لحد ما بدر نزله واخدوا ومشيوا.

بصتلي وهي بتعض علي شفايفها بتفكير وبعدين رجعت كشرت تاني بتعاند تأثرها من كلامي ومش عايزة تبينلي إنها قلقت عليه، مسكت غطي السرير ونزلت استخبت تحته وقالتلي وهي بتغمض عيونها:

-ماليش دعوة اصلا هو اللي عمل كده في نفسه، أقفلي الباب وراكي وانتي خارجة بس ما تقفليش النور..انا هنام.

لاحظت إن تليفونها بيرن وأنا بقفل الباب لقيتها بتمسكه بلهفة وبصاله بتردد، اخدت بالها أني شوفتها فقفلت شاشة التليفون وحطته علي المخدة ورجعت استخبت تحت الغطا، ضحكت وقبل ما اخرج قلتلها:

-ردي يا ختي ردي، مش هيرتاح الا لما تردي بدل ما تلاقيه جالك هنا البيت.

خرجت وسيبتها وأنا عارفة إن قلب أختي نقي وسهل تصفي، وفي نفس الوقت مهزأ فسهل ترد أول ما هقفل الباب وأمشي.

روحت غرفتي وفتحت تليفوني لقيت مسدچ من مرفت صديقتهم، الحقيقة ماكنش ليا صلة بيها من قبل كده لكن من بعد اللي حصل لملك يومياً بتبعتلي وتكلمني وتسأل عني وبنحكي عن التفاصيل، بس مش عارفة ليه بدأت احس بإحساس مريب تجاهها من وقت أخر مكالمة لينا الصبح.

****

"جمال"

الفترة دي أذت نفسيتي بكل معاني الكلمة، كنت سعيد بقرار أني أخد كام يوم أجازه من الشغل لحد ما الأمور تتظبط، لإن الوضع بيقول إن الأمور بدأت تتعقد ومحتاجة مجهود وتركيز أكبر..

الوضع ما بقاش مجرد قضية اختطاف وعنف، ده دخل في التشهير واللعب علي السمعة وتأليف القصص وأنا مش هسمح بده.

كنت بلوم نفسي علي رد فعلي مع ملك وعلي تسرعي في الحكم عليها وانسياقي ورا ضعف نفسي قصاد كلام سيف، لكن بعد كلامي النهائي معاه كنت ماشي في الطريق بعد ما سيبته بدأت نوبة جلد الذات، سايق بأقصى سرعة ومش شايف قدامي من الغضب..

وقفت وركنت في مكان هادي علي النيل، كنت محتاج أخد نفسي..محتاج احس بحرية وهدوء، بس الحقيقة مش هعرف احس كده وهي زعلانة مني...اتصلت بيها وانا عارف أنها مش هترد، كان قلبي بيدق اسرع من الدقة اللي قبلها مع كل جرس بسمعه وهي مش بترد..انتهت الرنة الاولي وفكرت ما اتصلش تاني، بس لا...لو هفضل ارن لبكره أنا راضي وموافق..

رنيت ومع أول جرس ردت قلبي اتخطف، سألتها بدون وعي:

-هو انتي ملك؟

ردت بعدم فهم وصوت غضبان:

-نعم؟

ماكنتش مدرك بقول ايه، بس أنا فعلا محتاج اعرف، هي دي ملك اللي قلبي بيدق في مكالمتها وقصاد عينيها؟

ازاي دي ملك وازاي هي نفس الشخص اللي ماحستش معاه اي حاجة فيها مشاعر رومانسية ابدا طول مدة 3 سنين؟

-أنا عارف اني غلطت في حقك وغلط لا يغتفر يا ملك، ومش عايزك ما تزعليش..أزعلي لان ده حقك وانا هراضيكي بكل الطرق، بس تسامحيني، انا مش هقبل ولو جزء بسيط جواكي يشيل حاجة وحشة مني.

سكتت وخفت يكون ده بيصاحبه دموع، ماينفعش تكون دموعها مني انا، قلتلها بسرعة:

-بالله عليكي ماتعيطيش بسببي لأني مش هسامح نفسي علي ده، أنا طول مدة صداقتنا وانا بعمل كل حاجة تفرحك وتريحك فماينفعش وقت تعبك اكون انا سبب دموعك...سامحيني.

سألتني سؤال غريب ومش متوقع:

-ليه بتعمل كل حاجة بتفرحني وتريحني يا جمال؟ ليه عودتني علي كل حاجة حلوة؟

--علشان أنتي تستاهلي كل حاجة حلوة وقلبك نقي...وعلشان كان عندي دايما احساس بالمسؤولية تجاهك..كأنك..كأنك بنتي.

-بنتك..

قالتها بنبرة حزينة، ليه نبرة حزينة يا ملك؟

سألت فاتنهدت وقالت:

-مش حزينة ولا حاجة...عموما، أنا هكدب لو قلت سامحت او مش زعلانة، فسيبها للوقت هو اللي يمحيها من جوايا.

كنت عارف ان تنهيدتها جواها كلام وعايز اعرفه، بس لو سألته مش هتجاوب عليه دلوقتي، كالعادة لازم اسيبها شوية تتكلم جواها بالكلام ده وبعدين اسأل عنه فتعرف تجاوب، قلتلها:

-الا صحيح يا ملك...أنا عندي مشكلة وعايزك تحليهالي.

--مشكلة!! مشكلة أيه؟

-كانت واحدة صاحبتي سألتني أنا محتاج أيه وبصراحة كنت مش عارف الإجابة فمحتاج مساعدتك معايا ندور عليها، فينفع أجيلك بكره وندور سوا؟

صوتها بيقول انها بتقاوم الابتسامة

-وأنا مالي، هو انا صاحبة البيت؟ ما تستأذن صاحب البيت.

--خلاص تمام هقفل معاكي واتصل بوالدك أقوله أني جاي اتغدي عندكم وادور علي شوية احتياجات كانت ضايعة مني عندكم.

ضحكت وحسيت اخيرا بأني اخدت نفسي بجد، اتنهدت بقوة وقلتلها بحنين:

-يااااه أخيراً، كنتي هتموتيني من الزعل والخوف.

سألت بعنادها اللي مابيخلصش:

-ليه يعني!

--لما ضحكتك بتختفي الدنيا بتسود في وشي والله.

سكتت..وبعد دقيقة اتنحنحت يبقي أكيد مكسوفة دلوقتي ، افتكرت اللي حصل مع سيف فجأة فسألتها:

-ملك هو أيه حصل بداية من ما كلمتي إنچي لحد ما صحيتي ولقيتي نفسك في شقة ريان؟

12

-ليه بتسأل السؤال ده دلوقتي؟

كنت عايز أرمي نفسي في النيل وأخلص، قلتلها وأنا بخبط جبيني بكفي:
-يا ربنا..يا بنتي أنا راجل تعبان وماشي بعلاج، مش كل ما اسألك سؤال تجاوبيني بسؤال.

كنت عارف إن رد فعلي ده بيضحكها والحقيقة انتهزت الفرصة الثمينة دي علشان اسمع ضحكتها، ماكنتش متخيل إن ضحكتها مصدر سعادتي وثباتي...ادركت اني ظلمت نفسي بعلاقتي بإكرام، وظلمتها معايا.

-خلاص هحكي حاضر، بس بجد يا جمال كفاية اسأله أنا كل ده بيرهقني.

--حاضر يا ملك هحاول..المهم جاوبيني.

اتنهدت وكنت متأكد إنها غمضت عينيها وبتسترجع الذكريات علشان تحكي

-قبل اليوم ده بيومين إنچي كلمتني وهي بتعيط ومخنوقة، كانت بتفضفض معايا إن والدتها تعبانة في المستشفي، وإن معاش والدها مش مكفي تدفع للمستشفي ولا تجيب الادوية لمامتها..فأنا فكرت أزاي اساعدها واستأذنت والدي أخد مبلغ من فلوسي اللي في البنك واديهولها، والدي رحب بالفكرة وبالفعل تاني يوم سحبتهم وكلمتها وقلتلها وبعد إصرار مني وافقت تاخدهم..

وقتها اتفقنا انها هتقابلني تاخدهم مني في الميدان، بحيث يكون مكان قريب مني ومن شغلها، لما روحتلها كانت جايبة عصير وأصرت عليا نشربه مع بعض واحنا بنتكلم خمس دقايق بس علشان مش هنلحق نقف كتير لإن الشيفت بتاعها في الصيدلية قرب يبدأ...كنت مترددة أشربه الحقيقة، انت عارف ضغطي بيوطي من السكريات..وبالفعل مافيش دقيقتين وبدأت احس بغثيان وأني مش شايفة اي حاجة، كنت بفقد احساسي بكل حاجة وبالصدفة كان الزفت ده تقريباً معدي وشاف لمة الناس فجه ولما لقاني انا سندني معاها دخلوني عربيته يودوني المستشفي...أنا كنت لسه واعية وسامعه وماعترضتش..

النبرة اتحولت من الثبات للضعف في لحظة وهي بتكمل:

-ما اعترضتش علشان لأخر لحظة من غبائي أمنت ليه وفكرته هينقذني ولو لمرة حقيقية من أذية وما يكونش هو السبب فيها.

--طيب خلاص اهدي كل ده ماضي وعدي ماتعيطيش، بس هي إنچي ركبت معاكم؟

فكرت لثواني وقالت:

-غالبا هو قالها تمشي علشان شغلها وهو هيتصرف.

شكوكي كانت في محلها، وده احساسي بيقوله من كلام ملك اللي فيه خيط ناقص، ملك طيبة ولسه بنوتة نقية مهما شافت من الدنيا مش واعية لشرور البشر...في شئ غلط في الحكاية والغلط ده من ناحية إنچي، سألت:

-هي الاعراض اللي حصلتلك وقتها دي بتحصلك كل مرة لما ضغطك بيوطي؟

--بصراحة لا كانت زيادة، كان الوضع اسوأ بس ده يمكن علشان الشمس وإن العصير كان مسكر أوي، اصل هي دايما بتاخد معاها اكل وعصير الصيدلية فكانت عملاه وهي مستعجلة والسكر طلع زيادة..أصلاً اتريقت عليها بسببه.

ضحكت ملك بس انا ما ضحكتش، أنا عرفت وجهتي هتكون لفين المرة دي...

-بس انت احرجتها اوي يا جمال.

كنت عايز ابوس دماغها واقولها انتي طيبة اوي يا ملك ومالكيش حظ مع البشر في الدنيا، اتنهدت بهم وقلتلها:

-عارفه..أوقات بيكون حوالينا ناس مقربين بيقفوا جنبنا وبيبانوا حبايبنا وبيعملوا كل حاجة لسعادتنا، وأوقات بيكون عندنا ناس تانيين بيعملوا حاجة توجعنا فنحس أنهم اقسي ناس في العالم وانهم مش بيحبونا ووحشين ونبعد عنهم...بس لو بصينا للأمور من ورا الستارة هنشوف إن الأشخاص الاولنيين دول هما أكتر ناس بيجيبوا في سيرتنا بالشكل السئ وبيسعوا لأذيتنا ومعظم مشاكلنا بسببهم

والناس التانيين دول كانوا قسيوا واذونا علشان بيحبونا وخايفين علينا وقبلوا يخسرونا قصاد مصلحتنا.

بس الفرق بين الاتنين في إن دول بيعرفوا يمثلوا الحب..ودول صادقين.

عارف إنك هتسألي يعني أيه الكلام ده، بس مش مهم تفهميه دلوقتي، لكن خليه في بالك وراجعيه كل فترة علشان هتفهميه في يوم من الأيام وترجعي تعتذري لنفسك.

كانت منصتة جداً وكنت فاهم إن الكلام هيشغل دماغها، بس ملك فعلاً حياتها ماشية بالنمط ده..

معظم اللي بيبينوا ليها الحب هما اكتر ناس بتئذيها.

والناس اللي بتئذيها بشكل سطحي سواء بفعل او بكلام..دول ناس خايفة عليها، زي أنا مثلاً..ملك فكرتني صدقتهم، بس هي مش عارفة حقيقة أني محتاج اطمن علشان أعرف اتصرف لو حد واجهنا بالأمر ده بعدين.

فجأة ملك افتكرت حاجة وقالتلي:

-صحيح يا جمال..في حاجة حصلت لفتت انتباهي.

سألت باهتمام:

-ايه هي؟

--وأنا وإنچي قاعدين جت ليها مسدچ من مرفت خطيبة سيف ولمحت فيها اسمك.

-اسمي! وكان مكتوب فيها إيه؟

--مش عارفة ما لحقتش هي قفلت الشاشة بسرعة وبعد دقيقتين قامت مشيت علي طول.

-انتي قلتيلي شغالة في صيدلية إيه إنچي؟

سألتني بخوف:

-عايز تعرف ليه؟

مش عارف لو كدبت هتفهم ولا هقدر اقنعها، بس أنا ما اتعودتش اكذب عليها، بس أنا لما هروح هعمل كده فعلاً قبل ما انفذ اللي في دماغي، يبقي أنا كده مش هكدب، قلتلها بثقة:

-هتأسفلها علي اللي صدر مني.

فرحت جدا بالفكرة وبلغتني بالمكان، فجأة ملك سكتت وبعدها وقالتلي

:أنا ممكن اسامحك في حالة واحدة يا جمال.

فرحت جداً بجملتها دي "أنا مستعد أعمل أي حاجة مقابل إنك تسامحيني"..قلتلها كده ومستني الرد وماكنتش عارف أنه هيكون شرط صعب عليا بالشكل

-ممكن تصالح إكرام وكفاية كده!

أنا كنت متخيل إني قادر أعمل أي حاجة لكن مش دي يا ملك..

-أنا وإكرام مش هينفع نرجع يا ملك، إكرام انتهت بالنسبة ليا بعد أذنك شوفي شرط تاني وأنا مستعد.

اندفاعها وقلة الحيلة اللي في صوتها وصلولي شعورين..شعور بالذنب، وشعور غريب مش فاهمه

-مش هينفع، لازم تتصالحوا، حتي لو مش ناويين ترجعوا علي الأقل اتصافوا واقفلوها بشكل كويس، أنتوا ما ينفعش تخسروا بعض بسبب أوهام في دماغها بسببي، ومش هينفع أنكم تضيعوا الحلو اللي بينكم..أنا مش هقبل بده.

--طيب ممكن تهدي بس ونتكلم بالعقل! اللي بيني وبين إكرام مالهوش علاقة بيكي..أنا وإكرام اللي بينا هو اللي كان مبني علي وهم، الخطوة اللي أخدناها دي إحنا واخدنها من جوانا من زمان بس أخدناها متأخر.

-ماليش دعوة..هتكلمها دلوقتي وهتراضيها وتتصافوا، وبعد كده ترجعوا أو ما ترجعوش دي سيبوها للوقت..

انساقت ليها في النهاية، أنا عارف إنها خطوة هتتعبني لكن مافيش مشكلة لعل الخطوة دي يكون فيها الخير، وأنا برضه قسيت جامد علي إكرام ومهما كانت المشاكل، هي ما تستاهلش مني كل ده، اتفقنا إنها هتتصل بيها وهتدخلني معاهم المكالمة ومش هتكلم نهائي غير لما ملك تديني أشارة بده وأنا وعدتها.

اتصلت ملك وأنا كنت مستني علي الانتظار بفكر في رد فعل إكرام ممكن يكون أيه وهل ممكن تقبل بالمصالحة فعلا؟ لحظات ولقيت المكالمة رجعت

حوار ملحمي صادم مكانش يخطر علي بالي

إكرام بنبرة ساخرة:

-أيه ده! ملك هانم بذات نفسها متصلة بيا؟

ملك كان صوتها مضطرب:

-ليه الاسلوب ده يا إكرام بس؟ أنا جاية علشان أقولك إن جمال..

ماسمحتلهاش إكرام تكمل كلامها، وقاطعتها بإندفاع:

-ماله جمال؟ هو اللي باعتك علشان تتوسطي ليه! مفكر إن لو بعتك أنتي هسامحه؟ روحي قوليله يشبع بيكي يا ملك..هو يستاهل واحدة زيك أصلاً..

اتصدمت من كلامها واسلوبها، هي دي إكرام اللي حبيتها!! كنت غضبان منها ومخنوق عايز انفجر فيها بس حاجة جوايا قالتلي استني واسمع يمكن دي رسالة من ربنا ليك تنهي أي مشاعر باقية جواك تجاه إكرام، ردت عليها ملك بصوتها المهزوز:

-أنتي فاهمة غلط يا إكرام والله ، أنا وجمال مجرد اصدقاء، جمال بيحبك وزعلان علشان مزعلك وأنا كنت عايزة اجي اصالحك

علشان اشيلك الأوهام اللي في دماغك تجاهي دي لان مش هاين عليا تسيبوا حبكم ده يضيع.

صوت ملك بدأ يتعبني، كلامها خارج من منطقة ضلمة جواها وباين ثقله علي قلبها، كنت عايز أنا اللي ارد عليها واقولها أنا مش بحبها يا ملك..أنا محتاجك أنتي وأنتي اللي ماينفعش تضيعي من أيدي، بس مالحقتش واتفزعت من غضب إكرام اللي صرخت بحقد وغل:

-أنتي أيه يا بت أنتي! هو أنتي هتفضلي عايشة في دور الملاك ده كتير! أنتي مفكراني هصدقك تاني؟ جمال أيه ده اللي أصدقاء؟ مش ده اللي سيبتي ريان علشانه وضربتيه بالقلم وخلتيه عمل فيكي كل ده! مش جمال صديقك ده اللي لازقاله ليل نهار وعاملة الطاهرة الشريفة وأنتي بتروحي تقضيها مع ريان وتبعتيله صورك وفيديوهاتك؟ خلاص يا ماما الاعيبك دي انتي اللي هتلبسي فيها في الأخر بعد ما ريان يبعت الحاجات دي لجمال ويعرفك علي حقيقتك..

وقال أنا اللي كنت ندمانة أني قلت لريان علي مكانك علشان يروحلك يصالحك وعرفت اللي عمله، وقال ايه عيطت علشانك..والله لو كنت عرفت أنه عايز يخطفك مش يصالحك كنت ساعدته يوصلك برضه علشان أخلص منك.

صوت شهقات ملك وصمتها، صوت الناس حواليا ومنظر النيل وسماه الصافية كل ده تاه مني وحسيت أني في غرفة بيضا مالهاش

ملامح وقلبي مش مكانه...حاسس بنزيف جواه مش قادر اوقفه، ماكنتش مصدق اللي بسمعه، إكرام هي اللي ساعدت ريان يئذي ملك؟ بعيد عن كل اللي قالته صعب ويجرح ومش حقيقي إلا إن الجملة دي كانت كفيلة أني اقتلها.

أول ما خلصت جملتها صرخت فيها بغضب:

-إكراااام.

أول ما سمعت صوتي شهقت برعب، حاولت تتكلم بارتباك وتسأل وكأنها مش مستوعبة اللي بيحصل:

-ج..جمال! أنا..أ.أنا..

--أنتي الحاجة اللي ندمت إني دخلتها حياتي..أنتي اسوأ شئ حصل لبني أدم..شوفي ربنا حطك في موقف عامل أزاي!

بكت وقالت ولسه بتكابر:

-هي عملتها فيا! جابتك المكالمة علشان تشوه صورتي قدامك وتكرهك فيا و...

قاطعتها وأنا بصرخ فيها ومش مهتم لشارع وناس:

-اخرسي بقي... انا موجود من قبلك في المكالمة، ربنا اراد يوضح حقيقتك المقرفة والغل اللي جواكي...اللي بتقولي عنها كل ده وبتظلميها بتعافر رغم مشاكلها وتعبها إنها تصلح بينا وجابتني

وجابتك في المكالمة علشان تخلينا نتصافي..بس فعلاً أنا ماكنش ينفع انهي معاكي من غير المكالمة دي، علشان انتي ماتستحقيش إلا القسوة اللي كنت ندمان أني عملتها معاكي في المكالمة الأخيرة...بس اعتبري نفسك لسه ما شوفتيش قسوة...

أقولك حاجة كمان يا إكرام؟ أنا هبلغ عنك واقول أنك انتي اللي ساعدتي ريان، ومش بس كده، أنا حتي لو ملك غلطت بأي شكل...هقبلها بكل ما فيها، علي الأقل هي انضف من ناس كنت مفكرهم ملايكة مآمن علي قلبي معاهم.

صرخت في ملك بأمر:

-اقفلي المكالمة يا ملك..يلا اقفلي.

****

"سيف"

كنت نايم علي الأرض وريان نايم علي السرير بعد ما حكيتله تفاصيل اليوم وسكتنا لوقت طويل مش عارفين نفكر وهلكانين من الظروف اللي دخلنا فيها ومش عارفين أخرها أيه، كنت فارد جسمي علي السيراميك البني اللي مش عاجب مرفت مع اني دافع فيه مبالغ كبيرة، باصص للسقف وقالع نظارة النظر منيمها جنبي فوق التيشرت اللي قالعه برضه..

بفتكر لقائي بجمال، وأحداث الشغل، ولحظات دخول العسكري اللي استدعاني للقسم علشان يتحقق معايا بسبب قضية ريان..كنت هموت من الرعب وأنا بتسأل كل سؤال، لما سألوني عن أخر مرة شوفت فيها ريان ايه حصل؟

كنت متردد ومش عارف أقول أيه، بس حكتلهم اللي وصلته لجمال، كنت عارف إن الرائد أحمد جوز خالة جمال وهو اللي ماسك القضية يعني الإهتمام بيها عالي، وكنت مدرك انه عارف إن جمال احتجزه عنده وعمل فيه كده بس متستر عليه..

بس عملت نفسي مش فاهم حاجة وحكيت بتأثر وحزن عن خوفي إن جمال يتحبس بسبب أنه مخبيه او أنه يتهور ويئذيه فيتئذي هو كمان وأني كنت هسلم ريان بس هرب مني، ماتوقعتش السؤال اللي جه ونساني اسمي وفهمني نسبة غبائي واصلة لفين

"ولما انت كنت جاي تسلمه لينا، ليه فكيت القيود بتاعته! ما فكرتش أنه ممكن يهرب منك بما إنك لواحدك؟"

فكرت ساعتها في محاولة اني اجيب إجابة سريعة مقنعة، فجاوبت بتوتر وكنت متأكد أنه لاحظ

"أنا ما جاش في بالي حوار أنه يهرب ده بسبب أنه كان تعبان جدا من الضرب وعدم الاكل والشرب، وكان شبه فاقد الوعي وأنا بفكه، ماعرفش أنه هيهرب مني بمجرد ما أفكه."

"وهرب منك ازاي؟"

دي إجابة كنت حافظها لأني سبق وجاوبت بيها لجمال
"بعد ما فكيته وبقومه راح ضاربني في رجلي موقعني وجري"

بعد التحقيق ده نفسيتي كانت محتاجة أني اهرب من كل حاجة، لقيتني بركب العربية وبسافر الشرقية وبحكي لريان اللي أول ما سمع مني اللي دار في التحقيق شتمني واتهمني بالغباء..بس الحقيقة أنا عارف أن عنده حق وأني اثارت الشك تجاهي ازيد

اتكلم ريان وقاطع أفكاري:
-أولا ما تصدقش اللي جمال بيوضحه ليك علشان جمال مش غبي، ولو أنت صدقت أنه واثق في كلامك ومصدقك بجد يبقي أنت اللي غبي.

--بس كان باين أنه مصدق فعلاً. عموماً هحرص منه، بس هنعمل أيه في الحوار التاني؟

قام قعد علي السرير وبصلي وهو ساند بكفوفه علي طرف السرير وقال:
-ثانياً بقي...أنا ماينفعش أفضل هنا، وأنت ماينفعش تيجي هنا تاني الا للضرورة لحد ما الاقي صرفة أمشي بيها من هنا في أقرب وقت.

وافقته الرأي وبصيت للساعة لقيت الوقت اتأخر ولازم أمشي الليل قرب يبقي نهار، وأنا بلبس التيشرت أفتكرت حاجة فقلت:

-صحيح يا ريان، إنچي جمال قابلها وهي عند ملك.

قام وقف بفزع:

-قالت حاجة؟؟

هديته وفهمته اللي قالته ورجع قعد مكانه قعد واتكلم بعصبية:

-أنا عارف إن البت دي مع أول قلم هتوديني في داهية.

كنت مستغرب ودي الحاجة الوحيدة اللي مش قادر افهمها من ريان، فيها أيه لو جمال عرف إنه كان متفق مع إنچي أنها تقابل ملك وتخليه يقابلها كأنها صدفة علشان يصالحها؟

أيه اللي يوديه في داهية في الموضوع ده؟ وليه أقنع إكرام إن هي اللي عرفته مكان ملك مش إنچي؟

****

"ملك"

ان كل الدنيا تطلع فجأة من العدم فكرة وتصدقها وبتبدأ البشر في اتهامك بكل أحقية في حاجة مش خاصة بيهم، ده شئ ألمه يعادل

ألم كسر ضلع من ضلوعك كل دقيقة مع كل محاولة دفاع عن نفسك فيها...لا هما ليهم الحق يتهموك او يكرهوك، ولا انت عملت اللي في دماغهم ده فعلاً..

بس في نفس الوقت بتيجي حاجات مخطط تطلع بنتيجة معينة منها، فتلاقيها كانت بتحقق هدف تاني أهم..

زي إن مكالمتي مع إكرام وجمال اللي كان هدفها إنهم يتصافوا، واللي كان ناتج عنها كهدف تاني غير متخططله إن أنا اللي أصفي من زعلي من جمال.

دفاعه عني اللي بيثبت أنه مصدقني، ووجوده معايا من وقتها لحد دلوقتي علشان يهديني، كان أكبر سلاح ضد حزني منه..

لما قفلت المكالمة وكنت تايهة والحياة اتقفلت أبوابها في وشي، لقيته هو اللي بيفتحلي بابه، اتصل بيا وماسابنيش إلا لما رديت عليه

فاكرة حنيته في كلامه "حقك عليا من كل الدنيا يا ملك، أنا معاكي ومش هسيبك لحد ما نجيب حقك من كل دول، أنا أسف علي كل حاجة عيشتيها بسبب اصحابي، أسف أني عرفتك عليهم كلهم أيام الجامعة، أسف أني دخلت إكرام حياتي وأنتي اللي احق بده"

كانت صدمتي بالجملة الاخيرة قوية لدرجة إن دموعي تتجمد في عينيا ونفسي السريع كأنه وقف للحظة ورجع ببطء كأنه مش موجود، رجفة قوية مسكتني وحسيت بالحرارة في جسمي كله، هو قال كده بجد؟

ماعرفتش اسأله والمكالمة فصلت، استنيته يتصل بيا ما اتصلش، فكرت...هو قالها بدون وعي ولما استوعب قفل المكالمة؟

كنت هتجنن لمدة ساعة، مش عارفة ابكي علي اللي بيحصلي.

ولا افكر أزاي اخرج من كل ده؟

ولا أفكر في إن جملة جمال دي صح ولا غلط؟ ولا ليها معني تاني؟

اتصل بيا بعد ساعة كنت قاعدة في البلكونة بعد ما صليت العشاء ودعيت ربنا يحللي أموري ويلهمني الصواب، وبفتكر كل اللي بيحصلي ودموعي بتشاركني لحظاتي من سكات، رديت عليه بلهفة وأنا بمسح دموعي بكفوفي.

-اسف جدا تلفوني فصل فركبت وروحت البيت علشان اشحنه وأكلمك.

--ولا يهمك.

-أنا جيت ليكي اهو ومستعد اسمع عياط وصريخ وزعيق وسكات كمان ومعاكي لحد الصبح..بس توعديني أنك هتهدي بعدها.

جوايا كلام كتير واسئلة بتتردد جوايا ومش عارفة اقولهم، لساني عاجز عن الحركة

-يابنتي ردي عليا أنا هنا مش تردي في دماغك، كل مرة تقعدي تكلميني في دماغك وتشرحي اللي المفروض اسمعه وافضل انا سامع سكات هتشليناااي.

ضحكت غصب عني من جنونه، أنا عمر ما حد فهمني بالشكل ده، أنا لو خسرت جمال هخسر حاجات كتير اوي اهمهم نفسي اللي لاقتها معاه.

وقت طويل بنتكلم زي زمان، بحكيله الحاجات اللي جوايا اللي هو عايش معظمها معايا وفاهمها بس مع ذلك بيسمع مني ومابيزهقش، كنت كتير دموعي بتخوني في المكالمة ويعرف يطردها ويضحكني، الغريب أنه كان قادر يضحكني من قلبي بجد..

طول الوقت بيقولي "أنا معاكي اطمني" كان عارف أزاي يطمني بجد، الوقت مر بسرعة لحد ما عدي كتير، بردت من الهوا فدخلت غرفتي ونمت علي سريري وغمضت عيني وأنا سامعه صوته اللي بيهديني...كنت حاسه اني بسترخي، سكت فسألته:

-جمال هو أنت مش بتحب إكرام؟

رد بتلقائية:

-كنت..

سكتنا وماكنش عندي تعقيب، قالي اللي عمري ما هنساه يومها:

-الحياة دي بتعلمنا بمواقفها دروس عظيمة أوي، السنة دي أنا اتعلمت فيها كتير..زي إن العلاقة المريحة واللي فيها تفاهم ومشاركة وصدق، هي الصح، هي اللي تكفي عن الحب..الحب بيقل مع المواقف لو كل دول مش موجودين، وممكن كمان يختفي.

كنت فاكر إن أهم شئ في علاقة ارتباط، هو الحب.

واكتشفت إن احنا لازم نلاقي الحاجات اللي تريحنا ونعيش بيها مش في صراع دايم، وبعدها الحاجات دي هي اللي هتخلق الحب، هتبقي هي الشظية اللي بيها يشتعل الحب.

كان كلامه بيخلي قلبي يدق بعنف كنت حاسه بأن الكلام يقصدني، مافيش جملة صريحة بتقول ده بس احساسي أني بين السطور، حضنت دبدوبي بقوة.."أنا بوهم نفسي، انا لازم افوق، ده مستحيل"

-ملك انتي سألتيني أنا محتاج أيه وأنا كل ما بفكر من وقتها بوصل لحاجة واحدة بس.

ضميت دبدوبي لحضني أكتر وأنا برتجف، خايفة من الاجابة رغم اني بتمناها، اتنهد وسألني:

-مش هتسأليني أيه هي الحاجة دي ولا وصلتي ليها؟

كنت خايفة يكون واصله صوت انفاسي العالي وقلتله بصوت بيقاوم علشان يطلع:

-أيه هي؟

--أنتي يا ملك...أنا كل حاجة محتاجها كانت فيكي بس كنت غبي، معمي..أنا محتاجك تكوني أنتي اللي اكمل بيها حياتي مش مجرد جزء بس يا ملك..أنا محتاج اسيب مشاعري تحس بيكي، أنا اكتشفت إن في نوع تاني أحلي من الحب واكتشفته من خوفي عليكي ومن نظرة عينيكي والنبضة اللي بينبضها قلبي لما بسرح فيها.

" تعريف الحب بيبدأ بنبضه.

وبين كل حرف والتاني معني بيختلف من كل شخص عن التاني، لكن لو المعني الصح هو إننا نفهم إن..

ا-› اهتمام، اتفاق، ارتياح

ل-› لقيت نفسي معاك.

ح-› حاسس بيك في كل لحظة بتمر.

ب-› بصدقك وبلاقي الصدق معاك، بشاركك، بقدرك، بحترمك.

الحب الحقيقي هو أنك تكون مرتاح."

13

"بدر"

استسلمت مرة وجه الوقت أعافر..

مانمتش نهائي ومعرفتش اشتغل اليوم ده، كان تفكيري في كلامها مسيطر عليا وفي أخر المطاف وعدت نفسي أني لازم أنجح المرة دي في أني اعوضها.

اتصلت بتليفونها من رقم الشغل اللي هي مش عارفاه؛ كنت عارف أني لو اتصلت من رقمي مش هترد وبالفعل ردت.

بعد استقبالها الرسمي للمكالمة سمعت صوتي اتحولت لفاتن اللي حافظها وعشقتها بكل تفاصيلها حتي بعصبيتها

-بدر سيبني في حالي يا بدر ما تفضلش تطاردني.

--ومين قال أني بطاردك، أنا اقتنعت بكلامك النهاردة ومتصل لسبب تاني.

-وأيه هو السبب التاني؟

اتكلمت بنبرة ثقة وقلتلها:

-فكرت اخطب بما أني محتاج حد في حياتي، والحقيقة كنت محتاجك أنتي تعملي ليها فستان خطوبتنا، أنتي افضل حد الجأله في حاجة زي دي.

صوتها اتخنق وسكتت دقيقة وبعد الدقيقة ردت بتماسك:

-بس أنا موقفة تصميمات جديدة الفترة دي، ممكن تجيبها الاتيليه تختار بنفسها.

--لا..أنا محتاج ليها حاجة مميزة، حاجة ما اتعملتش قبل كده، فستان يليق بيها..وعارف انك مش هترفضيلي اخر طلب ده لو عايزة تخلصي من زني بجد.

اخدت نفس طويل وخرجته بقوة وقالت بنفاذ صبر:

-ماشي يا بدر هصممملك حاجة وابعتهالك واتساب ولو تمام بلغني بالمقاسات وأنا هعملهولك.

--ممكن يجهز في وقت قد ايه لو اتفقنا دلوقتي علي كل حاجة؟

بضحكة ساخرة:

-انت مستعجل بقي!

ضحكت بقوة وانا مستلذ بغيرتها:

-جداااا، ما صدقت أنها وافقت بصراحة.

--تمام يا بدر دقايق والتصميم يتبعتلك، بعد اذنك هقفل.

سيبتها تقفل وأنا متخيل إنها حدفت تليفونها في الارض زي كل مرة بتتعصب من برودي فيها وضحكت بانتصار، دقايق واتكلمنا واتساب وخلتها وصلت معايا لتصميم مريح وراقي ويليق بذوقها واتفقنا أنها هتبعتلي مندوب توصيل بالفستان بعد يومين.

نمت وأنا مبتسم، لازم انام كويس علشان في مهام كتير ضروري تخلص في يومين بس.

******

"ملك"

كنت مفكرة أن كثرة انتظاري للشيء ومايجيش هفقد شغفي وفرحتي بيه لما يجي

بس اكتشفت إن في حاجات بالانتظار القلب بيلتحم بأمنيته بيها، دقاته مع الوقت بتكون مقترنة بدعاء خفي بقدوم اللي محتاجه وطال انتظاره..

الانتظار في أوقات كتير مؤذي لكن ساعات بيكون هو العامل للتعلق بالحاجة اللي حابب تكون ملكك أكتر..ويوم ما هتيجي قلبك مش هيكون مستحمل فرحته بيها، وهيكون محتاج قلب تاني معاه يشاركه حبه وفرحته بقدوم اللي انتظره سنين وأخيرا جه

بس رغم فرحتي القوية بكلام جمال، إلا إني خفت، اتوترت، اتشتت...كل عوامل الحيرة كانت ضيف ثقيل علي قلبي في اللحظة دي.

جمال لسه خارج من علاقة ومشتت، مش عارف مشاعره طريقها الصح فين، قراراته أكيد هتكون متعجرفة ومتسرعة، ممكن يكون لتواجدي حواليه في الفترة دي وخوفه القوي عليا بحكم معزته ليا هما اللي وهموه بالفكرة دي،

أنا كمان..

خارجة من علاقة استنزفتني بكل المقاييس، ماعنديش مشاعر اديها ليه، ولا عندي طاقة لعلاقة جديدة مش عارفة هتكون أزاي!

مافيش جوايا قلب يقدر يستقبل اي مشاعر وهيشوفها مزيفة؛ بحكم أنه لسه جرحه ما اتشفاش من الزيف اللي عاشه طول المدة اللي فاتت، الفكرة جنونية ومستحيلة ومش مستوعباها وكل الأدلة بتقول إن علاقتنا هتفشل لو اتحولت لحاجة تانية غير الصداقة.

-هتفضلي تكلميني في عقلك كتير وتسيبيني اسمع الصمت هنا؟

أنا مش عارفة ارد عليه، أنا عايزة أعيط.

نوبة من البكا الهيستيري انتابتني جمال اتفزع علي اثرها

-اهدي خلاص، اهدي علشان خاطري، أنا ضايقتك في ايه طيب؟ أنا اسف بس اهدي.

دموعي دايما بتتكلم نيابة عني لما بفقد السيطرة علي ترتيب الكلمات، احساسي وقتها بيطغي وهو اللي بيتكلم في هيئة دموع، بس المفيد في الموضوع اني لما بهدي بعرف اتكلم زي الفلاسفة بحكمة وهدوء.

-بس خلاص هدينا! تتكلمي بقي وتقولي ليه الانفجار اللي حصل ده؟

--جمال انت مدرك أنت بتقول ايه؟

-مدرك جدا وبكامل قواي العقلية وبكل ارادتي بقولك أني عايزك زوجة مش صديقة وشايف حياتي معاكي.

قلتله بحزن وأنا بفرد جسمي علي السرير واغمض عيني بياس:

-بس أنا مستنزفة ومش هنفعك..ماعنديش حاجة اقدر اديهالك، ولا عندي قدرة ادخل علاقة جديدة.

--وأنا ماطلبتش أنك تحبيني، ولا عايزك ترتبطي بيا..أنا ببلغك باللي في دماغي وببلغك إن مشاعري في طريقها ليكي الفترة الجاية..ومش طالب منك اي حاجة، كل اللي عايزة منك تاخدي فترتك الكاملة للتعافي وأنا مش هسيبك نهائي، وهفضل جنبك لحد ما تتعافي ووقت ما احس أنك في كامل صحتك النفسية والجسدية أنا هطلبك رسمي من والدك.

-بس انا رافضة.

صمته ألمني اكتر من جملتي، سألني بأسي:

-ليه رافضة يا ملك؟

فتحت عيني واتنهدت وأنا بقعد علي السرير واسند راسي علي الحيط قلتله:

-علشان مش عايزة اخسرك.

--ومنين هتيجي الخسارة؟

-الحب بيضيع كل حاجة حلوة، وأنا علاقتي بيك كصديق هي احلي حاجة عيشتها في حياتي وانا مش عايزة اخسرها.

رد باندفاع يطمني:

-لا لا، الحب اللي بتتكلمي عنه ده الحب بتاع المشاعر وبس..مش مبني علي التفاهم والمشاركة والراحة، الحب اللي مبني علي اساس انه كل حاجة ده هو الفشل اللي بجد، لكن علاقتنا بالعكس..علاقتنا هتتوج في الأخر بحب نقي مبني علي اساسيات صح جداً.

--ليه أنا يا جمال؟

اتنهد وصوته وصلني بابتسامة:

-علشان لاقي نفسي معاكي وقلبي عرف يرجع يدق تاني معاكي.

سألته بحزن:

-طيب وإكرام؟

جاوب بغضب:

-انا قلبي كان ميت في حياة إكرام، إحنا كنا عايشين ندعي اننا في علاقة اساسها الحب واحنا كان فات عمر علي انتهاء صلاحية الحب ده، اكرام علاقتي بيها مع الوقت عدم التفاهم وعدم التوافق اللي كان بينا طغي علي مشاعرنا...وحالياً كرهتها.

اضاف بنبزة حنينة حضنتني:

-ملك ارتاحي وماتشيليش نفسك هم التفكير، واعتبري أني ما قولتش حاجة، ارمي حمولتك عليا بس وأنا مكافئتي أنك تبقي كويسه..ممكن تساعديني اساعدك؟

عقلي رافض كلامه، بس قلبي محتاجه والصراع ده في الوقت اللي إحنا فيه كان كفيل يكون الحاجة اللي تأرقني طول الليل، سابني وراح ينام علي أمل أني أنام بس ما قدرتش، التفكير كان مستعبدني، صليت الفجر وفتحت واتساب ببص علي شات إكرام بقلب حزين، وجودي في أي مكان هي وكلهم فيه بيزود همي، بحس أني بتخنق ازيد، نفسي بيضيق ودموعي بتكون اقرب ليا منهم، فجأة وصلتني رسالة منه قلبي دق..

-أنتي لسه ما نمتيش؟

كتبتله:

-كويس أنك صحيت، ممكن اكسر الوعد اللي بينا مرة واحدة بس؟

كتب:

-اي وعد فيهم؟

كتبت وانا بأمل أنه يسمحلي، أنا بحاجة لده فعلا:

-أنا محتاجة اخد حباية المهدئ يا جمال، سامحني فيها المرة دي وسيبني اخده، دماغي هتنفجر ولازم انام ومش عارفة.

قرأ وماردش ولقيته بيتصل عرفت اني هتهزأ، رديت:

-والله غصب عني بجد انا محتاجاه.

--ما تسيبك من المهدئ وتعالي نجرب حاجة جديدة!

جالي فضول فسالت:

-حاجة زي ايه؟

--من غير نقاش اقفلي النور وفكي شعرك واحضني دبدوبك وأتغطى كويس وأنا هقولك.

-نور لا..مش هقفله.

--اهدي بس واطفيه أنا معاكي مش هيحصل حاجة.

استغربت وسألته:

-معايا ازاي؟

--اعملي بس اللي بقولك عليه أنا مش هسيبك غير لما تنامي..يلا بطلي كلام ونفذي اللي قلته.

بمشي ورا كلامه بعدم إجبار حتي لو كان أمر، بحس أني مش خايفة أنفذ حاجة بيقولها لأنها مش هتكون تتعبني، فتحت كشاف تليفوني وقفلت اضاءة غرفتي وفردت شعري اللي مابقتش احتاج مجهود في فكه بعد ما اتقص، حضنت دبدوبي واتغطيت وقفلت الكشاف وغمضت عيوني بسرعة من الخوف أني ادرك الضلمة، انفاسي عليت غصب عني من الخوف، ندائي بحنية:

-ملك، مالك في ايه؟

--مافيش مافيش، انا كويسة بس الضلمة مخوفاني.

-طيب أنا معاكي أهو ومش هقفل، هنقول اذكار الصباح مع بعض واحكيلك حدوتة لحد ما تنامي..

ضحكت جداً، سالته:

-مش كنت بتضحك عليا لما قلتلك إن أسيا بتحكيلي حواديت علشان أنام لما يجيلي ارق!

--قلت اجرب يمكن اقتنع ان الحواديت بتجيب مفعول.

ضحكنا وبدأ يلقني الاذكار وبعد ما خلصناها حسيت اني بدأت أكون أهدي

-بقيتي احسن شوية؟

--امممم.

-امم! وبتقولي عايزة مهدأ وهي لسه ماحكتلهاش حاجة وبدأت تنام

ضحكت، بس مش عارفة أيه حصل خلاني مجرد ما دخلت مدينة البط الأصفر صاحب شركات تصنيع الاحذية الحمراء واامير البطابيط نده الحراس يدوروا علي مين اللي سرق حذاء الاميرة بطوطة...نمت!

****

"جمال"

صوت انفاسها وهي نايمة كان محسسني بإن بنتي نايمة علي رجلي وبلعبلها في شعرها، كنت مبتسم طول ما انا بحكي حكاية غريبة ألفتها وأنا بكلمها، مش مبتسم علي الهبل اللي بحكيه، مبتسم علي كم البراءة اللي حسيتها منها، دايما بشوفها انثي قوية مهما الدنيا هدتها قادرة تتحمل وتعيش وتكمل بقوة، بس في الفترة دي تحديدا شوفت فيها ملك صغيرة..صغيرة اوي وبريئة.

نامت في نص القصة مع أني كنت متوقع تضحك علي الجنان اللي بقوله، او أن الأرق يفضل ملازمها، لكن بعد وقت بسيط من صمتها سمعت انفاسها بتعلي بثبات لما وقفت عن الحكي ما اتكلمتش وفضل صوت الأنفاس بنفس الثبات، ندهتلها علشان اتأكد إنها نامت ولما ما لقتش إجابة ابتسمت..

كنت ناوي اقفل المكالمة بس الحقيقة حسيت أني مرتاح كده، مطمن عليها ومعاها..كان الهدوء ده وانا حاسس انها معايا بيديني الفرصة اهدي واعرف افكر...شوية كنت بسرح فيها، وفي ذكرياتنا، وشوية بتخيل شكلها البريء وهي حاضنة دبدوبها ونايمة.

وشوية تانيين بفكر هعمل أيه مع كل فرد من العصابة...كان عندهم نظرة صح لنفسهم لما سموا الشلة بالاسم ده زمان..سبحان الله!

الوقت بيعدي والصبح بدأ والشمس بتصرخ من شباك غرفتي بالوقت، بصيت في تعداد وقت المكالمة لقيت عدي 6 ساعات والمكالمة مفتوحة، اللي اخترع مكالمات الماسنجر ده إنسان عبقري وبيفهم.

لقيتني قبل ما اقوم علشان اجهز وأبدأ مشاويري بكلمها وهي مش سمعاني

-هتكوني ملك اللي عرفتها تاني وهتتخطي كل ده، أنا عارف انك قوية وأنا مش هسيبك مهما حصل...عارف انك كتير اوي عليا وهقابل كتير علشان أقدر أخليكي تحبيني وتأمنيلي كزوج بس أنا مستعد لأي حاجة ما دمت في النهاية هكون معاكي..بوعدك أني أكون ليكي العوض، زي ما وجودك بقي طاقة النور ليا.

قفلت المكالمة واخدت شاور وفطرت وشربت قهوتي وانا بسمع أغاني علي يوتيوب، كنت مشغل البوم قديم لرامي جمال ووأنا بلبس هدومي في أغنية لفت انتباهي كلماتها كأنها بتوصفني بالضبط، جريت وحملته وبعتها ليها علشان تصحي وتسمعها وكتبتلها.."كنتي أحلامي زمان ودلوقتي اتجمعت فيكي كل أمنياتي..سيبيني احبك يا ملك🏵"

أعدت تشغيل الأغنية وعليتها علشان صوتها يغطي علي نبض قلبي..

"قدامي طول عمري قصاد عيني اللي بحلم بيه
قدامي من بدري مفكرتش في حبك ليه
قدامي طول عمري و قصاد عيني اللي بحلم بيه
قدامي من بدري مفكرتش في حبك ليه

بقالنا سنين بنتقابل ومش فاكرين
هيجي اليوم نكون عاشقين وفاهمين إننا أصحاب
بقالنا سنين بشوفيك مرة كل يومين

وكنت أنا و إنت مش عارفين
هنبقى أنا و إنت يوم أحباب

قدامي أحلامي وكنت دا كله ما بشوفهاش
حبيبتي أنا آسف دي غلطة بجد مقصدهاش
قدامي أحلامي وكنت دا كله ما بشوفهاش
حبيبتي أنا آسف دي غلطة بجد مقصدهاش

بقالنا سنين بنتقابل ومش فاكرين
هيجي اليوم نكون عاشقين وفاهمين إننا أصحاب
آه بقالنا سنين بشوفيك مرة كل يومين
وكنت أنا و إنت مش عارفين
هنبقى أنا و إنت يوم أحباب

بقالنا سنين بنتقابل ومش فاكرين
هيجي اليوم نكون عاشقين وفاهمين إننا أصحاب"

•

كانت وجهتي الأولي هي الأسهل رغم إنها اصعب شفرة للغز..

دخلت الصيدلية، ارتبكت أول ما شافتني وده اللي نطق بيه علبة البرشام اللي وقعت من ايديها ورجفة ايديها وهي بتلقطها من الارض وتحطها علي الرف

-بصراحة أنا جاي اعتذر عن اللي صدر مني وطمعان في عفوك.

قبل ما تتكلم قلتلها:

-قبل اي كلام عايزك تقدري موقفي وتحطي نفسك مكاني، صديقة مقربة ليكي ويحصل معاها كده وأنتي زعلانة علشانها وخايفة عليها، فكان لازم تشكي وتندفعي من الضغط اللي انتي فيه..بس لا انتي احسن مني ومش هتعملي كده، لذلك أنا بتعذر ممكن تقبلي اسفي؟

وقفت قدامي بعد ما ملامحها هديت، وعلي الفاصل الزجاجي بينا حطت أيديها وقالت:

-حصل خير يا جمال أنا مقدرة الوضع اللي أنت فيه وخلاص مش زعلانة.

ابتسمتلها بارتياح وبعدين قلتلها:

-طيب أيه مش هتعزميني علي عصير زي اللي عزمتي ملك عليه؟

عينيها وسعت ووشها احمر، وارتبكت ملامحها من جديد...شكي بيتأكد أكتر وقبل ما تتهرب لحقتها:

-بهزر بهزر اصلها عمالة تحكي عن إن العصير بتاعك كان احلي حاجة في الايام السيئة اللي فاتت..صحيح هو ايه كان حصل بالضبط لما اتقابلتوا؟

--هي مش ملك حكتلك؟

اصطنعت التأثر وقلتلها:

-مش قادرة تحكي ومهما حاولنا معاها مش بتوافق وبتفضل تعيط.

في اللحظة دي دخل شخص محتاج برشام صداع، سكتنا وبعد ما لبت طلبه ومشي قالتلي:

-كنت واقفة أنا وملك علي رصيف..هي كانت عايزانا نقعد في مكان نشرب حاجة وأنا رفضت علشان معاد الشغل كان فاضل دقايق عليه، فكان معايا عصير بجيبه يسليني في الصيدلية وعزمت عليها بيه ووقفنا دقايق نتكلم، انا لقيت عربية بتتركن جنبنا وينزل منها ريان وسلم علينا هي قابلته بقرف، وكانت بتسلم عليا علشان تمشي فهو وقفها...استأذنت منهم امشي وسيبتهم يتكلموا ووانا بركب التكسي شوفته وهو بيدخل ملك العربية بعنف وركب العربية وجري بيها وانا ماعرفتش اتصرف.

--ولما ده اللي حصل ما قولتيش كده ليه في التحقيق؟

-خفت علي ملك..خوفت أني اقول أنها راحت معاه بعربيته وتكون هي رايحة بإرادتها وماكنتش عارفة اعمل ايه.

--وليه ما بلغتيش بعد ما اتعرف اللي حصل بالأقوال الجديدة؟

كانت اسئلتي بتضغط عليها فصاحت بدفاع:

-هو ده تحقيق يا جمال؟

--لا خالص انا بس مستغرب وحزين من اللي حصل، اصل لو انا اللي مكانك كنت عملت كده..يلا الحمد لله المهم انها بخير، ومرة تانية شكرا يا إنچي انك قبلتي اعتذاري.

عملت نفسي بدور علي تليفوني وبعدين طلبت منها تليفونها ارن عليه، كانت مترددة وهي بتدهولي وبصالي بترقب، رنيت وفتحت اسبيكر علشان تسمع أنه مغلق، بينت ليها القلق وقلتلها احسن أكون نسيته عند سيد..

كنت بكلم نفسي بصوت قدامها

طلبت منها اشرب، دخلت تجيب مياه من المعمل وأنا بسرعة فتحت المسدجات على الفون وكانت الصدمة

رسالة من مرفت (أسيا بتقول إن جمال عندهم في البيت اوعي تروحي هناك دلوقتي استني يمشي لو شافك هيحقق معاكي)

رسالة من رقم بدون اسم

(سيف بيقولي إنك خايفة ما تخافيش قلتلك، بس لو جبتي سيرة أن أنا اللي اديتك العصير تديهولها هتبقي شريكة في جريمة ولا أيه يا حلوة؟)

جابت المياه بصتلها بعين بتتوعد بالشر كوباية المياه اتهزت في ايديها

-في أيه؟

--رقم ريان ده؟

شاورتلها من بعيد علي المسدچ ، دموعها نزلت وهي بتتوسل:

-جمال اسمعني وانبي، والله ماكنت اعرف أنه ناوي يخطفها مش يصالحها، والله ما اعرف حتي ان العصير كان فيه حاجة..

ما هتمتش لأي كلام وكل غضبي دلوقتي مسيطر عليه حاجة واحدة بس..

-رقممم، رياان، ده؟

--ايوا هو ايوا..

فين مكانه؟

بتبكي وتحاول تاخد التليفون وأنا ببعده عن أيديها:

-معرفش والله كل اللي اعرفه أن سيف هو اللي عارف مكانه

للمرة التانية اسأل عن سيف ويطلع كان في الشرقية...كده الخيوط بدأت توصل، اتصلت بزوج خالتي حكيتله كل اللي دار واتفقنا علي

كل حاجة، بعت مسدج لأحمد اللي من شلة الچيم اللي في ضهري دايما وهما دول الصحاب اللي طلعت بيهم من الدنيا بجد...

يمكن هما بيعيشوا بشوية عنف وفي حياتهم تصرفات غلط، لكن كل ده سهل يتداوى قصاد طيبة قلبهم وجدعنتهم الحقيقية...عيشنا مع بعض بال6 سنين وفي كل مشكلة بالجأ لحد فيهم بيكون جنبي وعمرهم ما خدعوني ولا اتأخروا عني في شئ

لذلك ما اترددتش اطلب من اي حد فيهم طلب وعارف انهم هيقوموا بأي حاجة اطلبها علي أكمل وجه..

كنت قاعد في غرفة سيف وأنا طالب من اخوه ما يبلغهوش أني مستنيه، خلص الشاور بتاعه وداخل وهو لافف جزءه السفلي بالفوطة وبينشف شعره بفوطة تانية وأول ما شافني قاعد علي كرسي مكتبه وحاطط رجل علي رجل وباصصله بابتسامة رجله وقفت عن الحركة، ايده ثبتت في مكانها علي راسه، جفونه ما رمشتش.

-جمال! انت هنا من أمتي ما حدش قالي؟

قومت وقفت بتمشي في الغرفة وبلعب في اي حاجة تقابلني استكشفها وقلتله:

- أنا هنا من بعد ما وصلت من الشرقية ودخلت تاخد شاور.

بس صحابك اللي هناك بقوا اهم مني ولا ايه؟

ارتبك ودخل بهدوء قعد علي طرف السرير ومتابعني بعينيه:

-لا دول مش صحابي المرة دي..ده والدي كان تعبان فرحتله.

--اهاا الف سلامة عليه.

-انما ايه سر الزيارة دي؟

بصيتله وسندت بضهري علي طرف المكتب وقلتله:
-ومن امتي لما بجيلك بدون معاد بتسألني كده؟
كنت جاي بس اسمعك حاجة

فتحت تليفوني وهو بيبصلي بفضول، شغلت مسجل صوتي لكلامه معايا في المكتب عن قصة ملك واختطافها، استغرب وقالي:
- وانت بتسمعني ده ليه وسجلته ليه اصلا؟
--ما انا برضه سألت نفسي نفس السؤال وانا بقرر أسجلك، بس اللي جاي ده هو اللي هيجاوبك.

فتحت تسجيل صوتي تاني لملك وهي بتحكي ايه حصل معاها اثناء الاختطاف، بصلي باستغراب وبدأ يصيح بعشوائية:

-يا عم دي بتكدب وانا كنت متأكد انها هتضحك عليك بكلمتين وشوية عياط ومسكنه..

--ما انا برضه توقعت كده لأني صدقتك علشان انت صاحبي برضه، بس استحملني بقي واسمع ده كده!

فتحت اخر تسجيل كنت مسجله لإنچي و وريته الاسكرينات اللي اخدتها من تليفونها قبل ما امشي واقولها اني مستعد اساعدها في إنها تخرج من القضية دي بإنها تروح تقول كل اللي حصل ده في القسم، وسيبتها ومشيت وهي بتروح علي القسم

كان قاعد قدامي زي المتخدر، تايه..، قلتله

-الصداقة مش معناها أن الاقرب ليا هو اللي اسمع ليه، واصدقه بعمي، وأساعده..

الصداقة مالهاش علاقة بالوقوف مع الحق، مشكلتك يا سيف أنك عامل نفسك شهم وأنا مدرك أنك شهم وجدع بس غبي...

بتحاول تساعد باستماته بس ما بتفكرش صح، ملك مجرد زميلة مش صديقة قريبة زي ريان لذلك كنت موجه طريقك كله ليه، لكن مع الاسف الشهم اللي يتقال عنه شهم هو اللي يحاول يصلح لما يسمع من طرفين ويحكم عقله، مش يسمع للطرف الأقرب

أنت للأسف دخلت نفسك في قصة أنت مش قدها ومش قادر اقولك هساعدك؛ لأن التستر علي مجرم في بيتك هو جرم وهتتحاكم عليه زيك زيه في نفس الزنزانة هتباتوا.

-جمال اقف جنبي ، انا غلطت والله بس أنا ماكنتش اعرف إن دي الحقيقية، صعب عليا فساعدته..ساعدني يا جمال.

بصتله بقرف وفي نفس الوقت قلبي بيتغرز فيه سكين وأنا بودعه بنظرتي وحزين عليه:

-اسف يا صاحبي..أنا بقف مع الحق.

14

"أسيا"

دخلت عليها وأنا مصدومة، صوت الأغاني استدعاني من برا أنا وبابا وماما مش مصدقين إن ملك هي اللي مشغلة اغاني عالية زي ما كانت بتعمل علي طول قبل ما يحصل اللي حصل!

فتحت الباب من غير ما تاخد بالها من قوة صوت الاغنية اللي شغالة علي الكمبيوتر، بابا وماما واقفين ورايا بيبصوا من زاوية الباب الفاضية وانا فاتحة الباب وكلنا رافعين حواجبنا لفوق وفاتحين بوئنا باندهاش، ملك قاصة شعرها كاريه غالباً مش واصل لرقابتها، لابسه بيجامتها المفضلة اللي لونها بينك وعليها مكتوب "Angel " وده سر حبها فيها إن مكتوب عليها أسمها بيس..

ملك مش بتلبسها غير وهي رايقة وفرحانة! بصينا لبعض وبعدين بصينا ليها وهي قاعدة علي كرسي المكتب وبتهز أكتافها علي انغام الأغنية وحواليها كتب الجامعة ومجموعة هدايا متقطعين ومتكسرين!

بابا: بنتك اتجننت يا نادية.

ماما: هي دي الأوضة اللي انا مرتباها امبارح؟!

ضحكت علي الاتنين فسمعت ملك صوتي وشافتنا اتخضت وبصتلنا بتوتر بعد ما خفضت صوت الاغاني، دخلنا وبابا سألها:

-أنتي اتجننتي طيب! ولا ده عادي بيجيلك كل اسبوعين مرة فنتأقلم معاه؟

ضحكت بتوتر وقالت:

-انا بس لقيت إني كأبتكم معايا الفترة اللي فاتت ففكرت اني أغير يعني وأحاول افوق نفسي وافرفش.

حضنتها وقلتلها وانا ببصلهم وبضحك:

-هو كلام يحترم وكل حاجة بس وحاولي تدوري علي مكان تباتي فيه علشان ماما القطة اكلت لسانها من وقت ما شافت الزبالة اللي انتي عملاها دي.

ماما بصتلنا بخبث وضيقت عينيها وحطت ايديها في وسطها وقالت:

-أنا ممكن اوافق ارتب الأوضة تاني وأخليها تبات عندنا من غير فلوس عادي، بس بشرط أعرف أيه الحاجات المتكسرة ومتقطعة دي؟

كنت متوقعة ملك هتتهرب من ماما لأني عارفة إن الحاجات دي هدايا وذكريات اصحاب الجامعة ومن ضمنهم ذكريات الابتلاء اللي ابتلينا بيه..ريان..لكن العكس.

ابتسمت بارتياح ولمعت عيونها وقالت:

-دي ذكريات كل الناس اللي أذوني ومش عايزاهم في حياتي..ولا عايزة ذكرياتهم، أنا قررت أبدأ حياتي علي نضافة وهعمل علي أني أنساهم نهائي..

بابا قالها قبل ما يسيبنا ويخرج:

-بس أهم حاجة تكوني اتعلمتي الدرس قبل ما تقطعي الكشكول القديم.

ماما خرجت تجيب سلة الزبالة نحط فيها الحاجات دي وأنا وقفت جنب ملك بعد ما قعدت علي كرسي المكتب، عليت الاغنية اللي بتتعاد كل شوية وسألتها:

-ده أيه اللي بتسمعيه ده؟ انتي بتسمعي أجنبي طول حياتك من أمتي العربي؟

ابتسمت وانشغلت في لبس نظارة القراءة وقالت بكسوف:

-دي أغنية جمال بعتها ليا.

رد فعلها وحيويتها بيقولوا إن اللي في بالي صح، اعادت تشغيل الأغنية من البداية وركزت في كلاماتها وقعدت اتنطط من الفرحة واصرخ في الغرفة ببهجة، كنت مصدقة الأغنية وعايزة اتأكد لكني ما قدرتش اقاوم احساس السعادة اللي وصلني لما حسيت انه بيلمح ليها من خلال الأغنية، كانت بصالي ومستغربة رد فعلي ، جريت عليها وسألتها بحماس..

-قالك بحبك صح؟

اتكسفت ووشها احمر وقالتلي:

-لا مش بالظبط..

كان لازم افهم يعني ايه مش بالضبط، فقعدنا بعد ما رتبنا الغرفة وقفلنا الباب وحكينا..سمعت منها تفاصيل النقاش وتفهمت موقف ملك..كان لازم تحس بكده، ولو ما خافتش هفهم إن ملك لسه ما نضجتش.

قمة النضج مش في إنك تعيش الموقف بدون خوف، الخوف هو اللي بيولد تفكير منطقي وبيقدم حلول بتبعدنا عن طريق الخسارة..

وده اللي كان لازم يحصل علشان هي تاخد فترتها في التفكير، والحسم بين صراع قلبها وعقلها وتعرف أيه ينفع وأيه لا، وأيه هي عايزاه وأيه ما ينفعش تغامر بيه.

-هتوافقي يا ملك.

--بس أنا مش عايزة اوافق.

-فكري وخدي وقتك في التعافي، بس ماتتسرعيش في اتخاذ القرار زي ما عملتي في علاقة ريان.

أنتي كنتي بتهربي من جمال بريان وده كان غلط وعشتي عواقب وخيمة بسببه...لو هربتي من نار ريان لجنة جمال يبقي هتكرري نفس الغلط لأنك هنا برضه بتهربي..

وافقي او ارفضي علي حسب قلبك وعقلك مش قلبك بس..

ولا عقلك لواحده اللي تسيبيه يتحكم.

تليفوني رن وانا بتكلم، كان رقم غريب لما ملك شافته قالت:

-ده جمال.!

استغربت من ان جمال يتصل بيا، بس فكرت أنه ممكن يكون هيعمل مفاجأة لملك فمحتاج مساعدتي، قمت وسيبتها ودخلت

غرفتي بعد صراع وضرب علشان تخليني افضل معاها وتسمع هيقول ايه، دخلت وقفلت الباب ورديت عليه

-الو مين؟

--أسيا انا جمال، اسف بتصل في وقت مش مناسب؟

-لا خالص خير في ايه، صوتك مش مبشر!

نبرته كانت غضبانة وبيتكلم كأنه مستعجل، سألني:

-أنتي حد من صحاب ملك بتوع الجامعة، مرفت او انجي او اكرام بيتواصل معاكي؟

استغربت من السؤال بس بصراحة قلقت:

-اه مرفت بتكلمني، ليه في أيه؟

--بتكلمك ازاي؟ يعني كصداقة عادي ولا محور كلامكم عن ملك؟

-في ايه يا جمال؟

اتكلم بعصبية خوفتني اكتر:

-جاوبيني بس وهقولك يا أسيا.

حكيتله عن مرفت وإنها يوميا بتسألني عن حالة ملك ومين بيزورها! وعن تفاصيل الحادثة والجديد في التحقيقات والجديد من حالة ملك

-بصراحة ماكنتش مخوناها وبحكي معاها عادي بحكم انها بتطمن علي صاحبتها وهاممها امرها بس أخر مكالمة امبارح شككتني فيها.

--كان ايه محتوي المكالمة؟

رجعت بذاكرتي ليوم فات وأنا في المطبخ لما تليفوني رن برقم مرفت، رديت عليها وأنا بقلب العصير واول ما فتحت المكالمة دار الحوار الاتي:

مرفت بتوتر:

-ازيك يا قمر عاملة ايه؟

بكره كلمة قمر تتقالي فرديت بسماجة:

-كويسة، وأنتي يا قمر؟؟

ماجاوبتنيش وقتها وسألتني كإنها عايزة تعرف الإجابة وهي قاصدة حد معين:

-هو في حد هيزور ملك النهاردة او بيزورها؟

--مش عارفة في حد هيزورها ولا لا بس اللي موجود حالياً جمال زميلكم، ليه في حاجة؟

--لا مافيش مافيش انا كنت عايزة اجيلها فقولت اشوف احسن يكون في ناس كتير عندها ولا حاجة، بصي هقفل دلوقتي علشان ماما بتنادي.

بصراحة قلقت وكمان ماجتش يومها زي ما قالت، فكرت ممكن يكون بسبب مشكلتك مع سيف فهي مش عايزة تصادفك في المكان!

-يابنت الكلبب، كانت عملاكي العصفورة بتاعتهم من غير ما تحسي، شغل عصابات بجد.

جملته ضايقتني وحسيت أني اتخدعت واتلعب بيا لعبة سخيفة من واحدة اصغر مني، سالته بغضب:

-في ايه يا جمال فهمني.

حكالي اخر تفاصيل وصلها من إنچي والخيوط اللي ربطها وكنت بسمع منه وانا في ذهول، ماكنتش متوقعة من إن الأمور ماشية كده، ندمت من اللي عملته وحسيت ان رغم عمري ده ما اتعلمتش ءأمن لمين؟ ومين ما أمنش..

****

"سيف"

وقفت وراه وأنا بطهرله جروح ضهره بالمطهر الطبي وساكت، سألني:

-ساكت ليه المرة دي يا سيف؟

--برضه مصمم تمشي يا ريان؟

ضحك بسخرية:

-خايف عليا؟

--كل اللي عملته معاك ده ما يوضحلكش أني خايف عليك؟

قال باستهزاء استفز مشاعري، وندمت علي كل اللي فات معاه..بس خلاص ما بقاش في وقت للندم:

-في ايه يا عم انت هتقلبها دراما ولا أيه! عادي ما تخافش هروح أقعد عند ناس صحابي في السويس، لحد ما الأمور تهدي بس واشوف هعمل أيه. وبعدين كفاية عندك لحد كده انا تعبت من الناموس اللي عندكم ده.

--إنچي كانت عارفة أن في مخدر في العصير يا ريان؟

التفتلي بصدمة وملامحه بتقول أنه مش متوقع أني هكون عرفت

-عرفت منين؟ هي قالت حاجة؟ ولا قالتلك أنت؟

قمت بوهن وقفت ورميت القطن اللي في أيدي في الزبالة وبصيتله وقلتله:

-ما تخفش أنا اللي كنت محتاج افهم الخيط اللي ناقص من الحكاية وضغط عليها علشان تحكي

بس أنا دلوقتي محتاج اسمع منك الحقيقة يا ريان

--حقيقة ايه انت اتجننت، ما انا قايلك اللي حصل!

ضحكت..مش مضحك كلامه، لكن سذاجتي أجبرتني اضحك علي نفسي:

-لسه بتكابر! احكي الحقيقة يا ريان انا كده كده مجرم زيك ولو أنت روحت في داهية أنا كمان هروح معاك.

بصلي بتشكك وبعدين قعد علي الأرض وفرد رجليه، قالي وهو باصص للفراغ:

-ماكانتش تعرف أن فيه مخدر، ولا تعرف نيتي في خطف ملك، كنت مبلغها أني محتاج حيلة اصالحها بيها، وأني هقبل انها تسددلي جزء من الفلوس اللي كانت مستلفاها مني، ومقابل الجزء اللي فاضل تساعدني أوصل بمخططي لملك.

قعدت مكاني علي الأرض قصاده بقهر..أنا متستر علي مجرم في بيت اهلي وظلمت بنت بريئة! كنت حاسس أني محتاج العقوبة مكانه، أنا هنا المجرم الحقيقي..

-يعني كنت ناوي تخطف ملك فعلاً..معني كده ان ملك ما اهانتكش زي ما قولت.

قال بكل برود:

-يومها لا..بس أهانتني في كل مرة كنت بحس فيها إنها مميزة وعيون الكل حواليها، واهانتني بتمسكها باللي اسمه جمال ده...

وأنا ما اتسابش، يبقي اهانتني ولا لا!

--عملت فيها كل ده علشان الاسباب دي؟

-حبيتها.

اجابته كانت اغرب شئ ممكن اسمعه في لحظة زي دي، بصتله باندهاش، الشخص ده أكيد مجنون، سألني:

-مش مصدقني صح؟

ولا اي حد في الدنيا هيصدقني، أزاي حد بيحب حد بيعمل كده فيه!

أنا نفسي مش عارف، كل اللي اعرفه اني ما صدقت عرفت احب، انا كل حد بحبه بيهرب مني وهي لوحدها اللي استحملتني، سنة كاملة بتتحملني لدرجة اني اتعودت إن ده العادي وبقيت ما اخدش بالي انا بعمل ايه ولو اعترضت علي أي حاجة تبقي هي اللي غلط..

كنت بحس معاها واحنا لوحدنا اني سيد ومالك العالم، لما كنا بنكون قدام الناس كنت بموت من جوايا، كنت بحس اني وانا واقف جنبها كأني واقف وشايفها وهي بعيد اوي، كل الناس حابينها، كله عينه عليها وعايز ياخدها مني..

كنت عايز اخبيها منهم بأي شكل بس هي ما استحملتش وبدأت تعارضني، كنت زي المجنون وجناني خرج عن سيطرتي لما عرفت وانا بفتش في تليفونها انها بتكلم جمال كل فترة وأنا مانعها عنه، ولما الامور احتدت بينا بكل سهولة سابتني ومشيت.

اهانتني في رجولتي، كل ده تعمله فيا علشان بحبها!

كان لازم اكسرها علشان تفضل بتاعتي.

كنت بسمعه وانا خايف..خايف منه علي نفسي

-انت مريض.

حمدت ربنا إن جمال دخل في الوقت المناسب ومعاه الشرطة.

****

بعد يومين

"بدر"

كنت مراقبها من برا الاتيليه من بعيد وهي بتستلم الطرد اللي بعته ليها، كنت شايفها وهي بتفتح البوكس وبتطلع منه الفستان اللي

صممته بأديها، طلعت الكارت اللي كنت كاتبه ليها وابتسمت وبعدين حطته علي المكتب ورجعت بصت للفستان بفرحة اسعدتني

استرجعت أنا كتبت أيه في الكارت يخليها تضحك بالجمال ده

"دلوقتي دخلت عليكي بفستان كتب الكتاب، المرة الجاية هتلاقيني داخل عليكي بالمأذون، فها بقي! هتلحقي تجهزي لبكرة؟ ولا اقول لعمي أبوكي ناجل علشان العروسة بتدلع؟"

دخلت عليها من الباب وفي أيدي واحد، بصتلي بصدمة وبضحك وقالت بمرح:

-لا كده بتهزر بقي!

ضحكت وقلتلها:

-لا ده مش المأذون ما تخافيش، ده حد كان معدي قلتله يجي يقنعك توافقي نرجع، ماتقول حاجة يا ابو مصطفي.

--والله يا أستاذة انا شايف توافقي بدل ما يجبلك الشارع كله يزن عليكي علشان هو متفق معاهم ومستنين اشارة بره فالحقي نفسك بقي وتدبسي فيه بدل ما تنزلي في جرايد بكره.

ضحكت وضحكت معاها دنيتي، ماكنتش متوقع إنها هتوافق بالسهولة دي من جملتين عمي ابو مصطفي المطبلاتي، وماعرفش لو ماكانتش وافقت بسبب كلامه كنت هجيب الناس اللي قال عليهم دول منين!

الحياة رجعت تضحكلي تاني، لما قعدنا اتصافينا ووعدتها إني هعوضها عن اللي فات وصدقتني..اعترفت بغلطي وتقصيري في حقها ودي كانت اول مرة أعملها وده ريحها..وكنت مغفل لما كنت بكابر وبعافر في الغلط وكمان انكره..

فاتن علمتني إن الحياة أبسط من كده بكتير، وإن الاعتراف بالغلط بيبني الثقة والراحة بين الطرفين وبيمشي الدنيا، شوية عليك وشوية عليا وبكده نبقي حققنا معادلة المشاركة وهننجح في حياتنا..

علمتني إن العلاقة بين طرفين مش صراع، ومنافسة مين يكسب مين ويطلع هو الصح..بل هي إننا نصفي حسابتنا بالعدل ومافيش مانع من شوية تنازلات بسيطة علشان نقدر نعيش جوا قلوب حبايبنا.

******

"إكرام"

كانوا 3 أيام من التوتر الدائم وجلد الذات، عقلي كان بيعذبني فيهم، بفكر في كل حاجة وكل تفصيله وأنا مش فاهمة ليه في حاجة ناقصة مش قادرة أوصلها، كنت بسمع طول المدة اللي فاتت من مرفت وسيف كلام، ومن ريان كلام تاني...واروح مع إنچي اسمع كلام مختلف، ابص تجاه ملك وجمال كلامهم يختلف تماماً.

ماكنتش عارفة اصدق مين، 3 أيام أكلي هو التفكير الزيادة، وشربي هو عدم النوم، وتسليتي هي عتابي لنفسي علي حاجات فاتت.

حاولت أكلم ملك أكتر من مرة ما قدرتش، ماكنتش عارفة اواجهها ازاي، ومش مصدقاها لكن حاجة جوايا بتقول إن ليها حق ولازم تسمعيها وتبرري موقفك..

كنت متألمة لفقداني لجمال رغم غضبي القوي منه، يمكن انا غلطت بس حسابه كان اكبر من غلطي.

تليفوني رن ولقيتها ملك مانكرش قلبي وقتها اتقبض كأن جه معادي لحبل المشنقة، أنا كنت قافلة تليفوني ومختفية في الايام دي ومش عارفة هي لحقت عرفت أني فتحت تليفوني منين، دا أنا شخصياً مش عارفة حاجة عني او عن حد..

كان صوتها مبتهج وده كان شئ غريب، بتتكلم بهدوء وهدوءها زاد قبضة قلبي، قالت:

-أزيك يا إكرام؟ مش هاخد من وقتك كتير.

ماكنتش قادرة اطلع الكلام

-اتفضلي.

قالت بكل قسوة كلام كتير هادي، هدوءه مؤذي وأنا ما علي إلا إن أنا اسمع.

-عارفة يا إكرام! أنا عمري ما فكرت أأذي حد، طول حياتي عايشه في الحياة دبدوب ضاحك مسالم، مع إن الحياة كانت بتعاندني علشان اكون العكس بس انا اقوي منها، لما صاحبتك زمان حبيتك فعلاً واتخذتك صديقة، كنتي بتحكيلي عن جمال وقد ايه بتحبيه وكنت بحب علاقتكم جدا وبحترمها وكنت بتخيلك معاه دايماً وبحاول اساعدك، رغم مشاعري اللي اتحولت تجاهه في يوم عمري ما فكرت اقرب منه بأكتر من صديق، كنت صادقة معاكي في كل حاجة وعملت علشان خوفك مني اسوأ غلطة في حياتي..

ريان..

كان الاثبات اللي بحاول ابينلك بيه أني والله بعيد بس سيبيني في حياتكم أنا عايزة اعيش، كنت قصاد ده بعيش أيام انتي عرفاها..لجأتلك أنتي دون عن كل الناس ومع ذلك بعتيني ليه بسهولة

كلامها بيئذيني، بيقطع في قلبي وبيضيق ضلوعي اللي مستخبي بينهم، نفسي بيضيق وحاسة باختناق. كملت بعد ما اخدت نفس طويل وخرجته ببطء

-عارفة بقولك ده كله ليه؟ علشان اوريكي الحقيقة اللي بتدوري عليها، اجاوبك علي الاسئلة اللي مأرقاكي واقولك إن مش أنتي السبب في إن ريان يعرف مكاني اللي ساعدته فده وباعتني بجد كانت إنچي..بس لو كانت إنچي مش في الحسبة، كنتي أنتي اللي هتكوني مذنبة..

أمنتي لريان وصدقتيه؟ للي ضحك عليكي وفهمك أن انتي اللي شاركتي معاه في الجريمة دي وعيشك طول الوقت بذنب مش بتاعك؟

صدقتيه وشاركتي في انك تتكلمي عني بالسوء! شوفتي وصلتي أنتي لفين في النهاية؟

ريان اتحبس هو وسيف اللي كان بيساعده، سيف اللي كنتي مصدقة كل كلامه وبتروحي تقوليله كل حاجة هو اللي بوظ كل حاجة في حياتك وفي حياتي وفي حياتنا كلنا، كلكم كنتم عاملين حبايب لبعض وبتساعدوا بعض وفي الأخر وجودي في اللقطة الحاسمة هو اللي ظهر حقايقكم لبعض."

اتصدمت ودموعي متجمدة في عيني وقسوة الكلام مقيدة لساني مش قادرة ارد.

كملت كلامها ببرود:

-في يوم جمال قالي..أوقات بيكون حوالينا ناس مقربين بيقفوا جنبنا وبيبانوا حبايبنا وبيعملوا كل حاجة لسعادتنا، وأوقات بيكون عندنا ناس تانيين بيعملوا حاجة توجعنا فنحس أنهم اقسي ناس في العالم وانهم مش بيحبونا ووحشين ونبعد عنهم...بس لو بصينا للأمور من ورا الستارة هنشوف إن الأشخاص الاولنيين دول هما أكتر ناس بيجيبوا في سيرتنا بالشكل السئ وبيسعوا لأذيتنا ومعظم مشاكلنا بسببهم

الكلام ده أظن أنك محتاجاه اكتر مني، علشان تفهمي مين حبك بجد وعمل علشانك كتير وأنتي ما قدرتيهوش، ومين عمل فيكي كتير وأنتي ادتيله الحرية في ده.

أنا بخسرك دلوقتي وأنا مش زعلانة أنا سعيدة علشان بكده هكون خلصت من كل مصادر تعاستي اللي كنت غافلة عنهم...

قفلت المكالمة وأنا كل البكا اللي في الدنيا كان خارج من بين جفوني، احساس الحسرة والندم اللي عشتهم من بعد كلام ملك خلوني أتعلم أعرف أتحكم في تصرفاتي ومش كل الناس أأمن ليهم ولا أحكم علي حد من كلام الناس..يمكن اتعلمت ده بقسوة ومتأخر بس لو قابلت ملك في يوم بعد سنين هشكرها علي درسها اللي فوقني..كان كل اللي عايزة اعمله في اللحظة دي هي حاجة واحدة بس، اعتذر ليها هي وجمال..ولو لمرة أعمل حاجة صح.

****

"ملك"

لو حد تاني مكاني اعتقد انه بعد الخطوة دي كان هيرتاح، بس أنا رغم كل حاجة ما ارتاحتش...كان لسه جوايا إحساس مأذي، وأهم نقطة تعباني فيه أني قسيت علي إكرام وأكيد هي زعلانة وبتبكي دلوقتي، دخلت أسيا عليا وأنا واقفة سرحانة قدام المراية واول ما سمعت صوتها التفتلها، كانت جميلة أوي في فستانها الذهبي المنفوش وحجابها اللي بنفس اللون، مجنونة في الميك اب السيواريه بتاعها..بس ضحكتها تخطف القلب..

اول ما شافتني بعد ما جهزت ولبست فستاني البنفسج البسيط وحجابي الأبيض لون الجبس والشوز مسكت أيدي الاتنين وتفحصتني بانبهار، كعادتها بتحليني في عيني حتي لو في اضعف حالاتي

-أيه يا عم الجمال والحلاوة دي بس؟ يا عيني عليك يا جمال النهاردة وعلي اللي هيجرالك.

ضحكت بخجل وقلتلها:

-أنا مكسوفة ومتوترة اوي ولا كأنه كتب كتابي أنا، مش كتب كتاب فاتن وبدر.

ضحكت وحضنتني جامد وقالتلي ببهجة:

-إن شاء الله يكون قريب وأفرح بيكي أنتي وجمال بقي..بجد بتمناهالك من قلبي.

ابتسمت وغمضت عينيا وأنا بتخيلها وحسيت بقلبي ليه جناحات وبيرفرف بقوة بيهم بين ضلوعي عايز يخرج ويروح ليه، بعدت عنها وسألتها:

-وأنتي هتفضلي مستنية مع بابا وماما كتير؟ مش ناوية بقي؟

ابتسمت براحة وقالتلي:

-أنا مرتاحة كده، عايشه بسلام..وقت ما هيجي اللي محتاجاه متأكدة أني قلبي هيشاورلي عليه، بس هو لسه ما جاش.

لقيت مسدج علي تليفوني من جمال وصلت:

"أظهر وبان عليك الامان! متشوق أشوف اللون اللي هتفاجئ بيه، هاا بقي ولا اجي اشوف بنفسي؟"

ضحكت وقلتلها:

-طيب في حد جه برا فيلا بينا نخرج علشان مايتهورش.

أخدتها من ايديها وأنا متوترة وبرتجف وإحنا خارجين، متوترة ومكسوفة، كانت اول مرة أشوف جمال وأحنا مش اصدقاء، في جوانا بذرة نبتة جديدة بنرويها بهدوء...أول ما خرجت من غرفة أسيا لقيته واقف قصادي بضهره وعينيه بتبص تجاه غرفتي، ضحكت...ما أنا أصلي كنت قاصدة أعمل فيه الفخ ده وأشوف رد فعله!

-جمال.

التفت واول ما شافني ابتسم جامد ورجع شعره بصوابعه لورا، بيداري توتره اللي بعرف اقفشه بسرعة، بص لغرفتي وبعدين رجع بصلي وقالي:

-كنت فاكرك جاية من هنا فكنت...هو ثانية بس كده! هو في أيه؟

استغربت وحسيت بتوتر، هو الميك اب معجبهوش ممكن! دي اول مرة يشوفني بيه معقولة يا ربي يظهر قدامه وحش..

-ايه!

ابتسم أوي وقرب مني وسأل:

-ايه القمر ده؟ ده أنا هدهن شقتنا بنفسج

ضحكت بكسوف كمل كلامه بمرح:

-شقتنا ايه، دا انا هدهن نفسي بيه شخصياً، ماقولتليش ليه إن في أنثي عندك بتطلع في المواسم!

****

"جمال"

كنت ملهوف أشوفها، حاسس إني خلاص فاضل دقيقة ومن شوقي ولهفتي هفتح باب غرفتها وادخلها واللي يحصل يحصل، كنت عارف إنها بتحب البدل بدون جرافت، بتحب اللون الأسود، بتحب الساعات الفضي، لبست البدلة السوداء بقميصها الاسود بدون جرافت، لبست ساعة جديدة اشترتها مخصوص، رشيت من البرفيوم اللي جابته ليا في عيد ميلادي، سرحت شعري لورا زي ما بتحبه، كنت واقف متوتر، دي أول مرة هشوف ملك بعد ما قلبي دق ليها، صوتها نداني قلبي ارتبك والتفتلها قبلي

كانت جميلة بشكل نساني كل السئ اللي في أيامنا اللي فاتت، عيونها ونظرتهم بيخطفوني، ارتبكت من جمالها ونظرتها وأكيد هي فهمت من نظرتي اللي هربت منها لحظة، وحركة أيدي اللي بترجع شعري لورا..

عبرتلها عن إعجابي بمظهرها وأنا مش قادر اقاوم أني أقول ليها أني بحبها، مش عايز اغير خططي لعيد ميلادها اللي بعد أيام،

حاولت اتماسك وإحنا واقفين كانت مع كل كلمة بتوجههالي وكل نظرة بتتلاقي فيها عيونا ببقي عايز أنطقها..

طول الوقت برجع شعري لورا وبهرب بنظري عنها، كان الوقت لذيذ، واحتفالية عائلية مبهجة، كانت فرحة بدر بفاتن ورجوعها ليه واصلة لينا كلنا فكلنا كنا سعداء..

أغاني، زينة وبلالين، ريحة عود، ناس لطاف مبتسمين بملابس سواريه وبيرقصوا، كان فاضل حاجة واحدة بس..

-المأذون وصلللل

ولما وصل الأمور اتشقلبت، الحفلة ما باظتش لا، أنا اللي اتجننت ومابقتش قادر اتحمل أكتر..

المأذون بيكتب الكتاب وكلهم واقفين مبتسمين والموسيقي ساكتة، ملك واقفة جنب اسيا مش عارف انا بعمل ايه، بس أنا شديتها من أيديها رجعتها ليا بعيد عن الواقفين خطوتين، بصتلي بتوتر وخوف وعينيها بهدلت مشاعري أكتر.

-ملك

-ايه يا جمال؟

--كفاية 4أيام تعافي وتعالي نتجوز دلوقتي.

بصتلي بصدمة، هي عندها حق انا اتجننت

-ملك انا...

--أنت مجنون!

سمعت المأذون بيقول "بارك الله لكما.."

حسيت أن مراقب اللجنة بيلم الورق التوتر زاد، مسكت ايديها وقلتلها:

-أنا ما صدقت لقيتك ومش هستني لحظة تبقي فيها بعيد عني تاني، أنا بحبك.

شديتها وروحت للمأذون ووالد ملك وسط الزغاريد ووقفت قدامهم وأنا بصيح:

-عمي انا عايز اتجوز ملك دلوقتي.

كل الواقفين بيضحكوا ويبتسموا ووالد ملك وبدر باصين ليا بذهول، أنا يا هتجوز يا هتقتل مش ضامن!

رد عليا والدها بارتباك وعيونه بتتنقل بين عيون الناس:

-ايه اللي بتقوله ده بس يا جمال يا ابني، هي الامور دي تيجي بالسرعة دي؟ بعد الفرح ما يخلص نتكلم.

--لاا مش هستني تاني، وبعدين نستني ليه؟ مش خير البر عاجل يا عم المأذون ولا ايه! ما تشد حيلك معانا كده وتقول حاجة.

ملك واقفة مصدومة جنبي وبترتجف وماسكة في ايد اسيا اللي محوطاها بدراعها وبتضحك.

-يا استاذ كمال لو مرتاح والاستاذ العريس جاهز واهل ثقة يبقي نخلي الفرحة فرحتين.

بوست دماغه وقلتله:

-الله يكرمك يا مولانا

بصيت لعمي كمال وسألته:

-ها يا عمي؟

******

"اسيا"

لو سألوني عن اسعد لحظة عشتها هبتسم واقول، لحظة ما جمال أخد ملك في حضنه وبكت بفرحة بعد ما كتبوا الكتاب، وفي نفس اللحظة بدر استغلها فرصة وحضن فاتن اللي فستانها السيلفر كان مبهر..

كنت عارفة أن في النهاية ملك هيجي اليوم اللي تبكي فيه بفرحة، كنت عارفة إن بعد الصبر فرج وياما قلتلها إنها هتتعدل..

شكلهم كان حلو أوي وكلهم ملمومين وفرحانين وبيرقصوا، سيبتهم ودخلت البلكونة، حسيت اني محتاجة هدوء لدقايق، استجمعت ذكريات اليومين اللي فاتوا وافتكرت كل اللي عشناه قبلهم..

فعلاً كل واحد في الحكاية دي راح لمصيره وأخد العقاب اللي يستاهله..

إنچي لو ما كانتش راحت مع أحمد اللي كلفه جمال أنه يروح معاها القسم تعترف، كانت هتروح في داهية وتتحبس علي أنها شريكة في الجريمة.

وسيف...لو كان تمادا وبعد ما عرف الحقيقة ما سلمش ريان بنفسه وراح اعترف قبل ما يجوا يقبضوا عليهم في بيته..كان الحكم مش هيخف عليه وهيقضي وقت طويل من عمره في السجن..

ومرفت، فقدت اعز ما ليها وتعيش عمرها مستنياه..قد ايه من الوقت! لسه مش عارفين.

أما بقي إكرام، فكفاية عليها صدمة جمال وملك ومعرفة الحقيقة اللي كانت غافلة عنها، ده كفيل يعيشها طول حياتها في ندم.

أما ريان!

فده اللي عقابه غير الحبس هيكون عند ربنا كبير..

دول كلهم غلطوا واتحاسبوا، أما جمال وملك فربنا كافئهم ببعض.

****

"جمال"

حضنتها ورجفتها في حضني فكرتني بحضني ليها يوم ما لقيتها، لكن المرة دي بكاها في حضني كان مش خوف وضعف..بعد ما بعدنا عن الناس سألتها.

-ليه دموع؟

من وسط دموعها و بشفايفها اللي قريبة من رقابتي قالتلي:
-مطمنة.

--واللي بيطمن بيعيط؟

خرجت من حضني وقالتلي وأنا بمسح دموعها:
-اوقات في حاجات مش بتتقال، بتتعيط!

ضحكنا وسألتها بخوف:

-كنتي محتاجة وقت لسه؟

بصتلي بكسوف وقالتلي اللي خلي قلبي دق بسرعة

-أنت اللي اخدت وقت كتير علشان تيجيلي، أنا اكتفيت من زمان، بس انت اللي مابتشفش.

--ايه! قلتي ايه؟ انتي كنتي بتحبيني؟

-وغلطت بهروبي منك الغلطة اللي تعبتك ايام وليالي وموتتني سنة وأيام..

بصيت في عينيها وأنا مش عارف اقولها أيه، غير اسف.

-عارفة يا ملك! أنتي علمتيني درس كبير اوي..

علمتيني إن الحب عمره ما كان كل حاجة، الحب الصح بيجي من بعد توافر كل حاجة...

أنا اسف أني ضيعتك من أيدي وكنت مغفل كل المدة دي.

بصتلي بعينيها علشان اتوه فيهم، وسمعت نبرة صوت عمري ما سمعتها منها قبل كده اكدتلي إني لأول مرة دلوقتي ما اكونش صديق

-جمال أنا مش عايزة ناس خلاص في حياتي أنا اكتفيت بيك.

أنا بحبك.

تمت بحمد الله